إشْكَالِيَّةُ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ فِي شَعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الرَّفْضِ وَالْقَبُولِ)
(قِرَاءةٌ جَدِيدَةٌ فِي التَّارِيخِ وَالْمَوْضُوعِ وَالْقَضِيَّةِ وَالْفَنّ)

د/مُحْسِن سَيِّد يُونُسَ عُثْمَانْ.
أُسْتَاذُ الأَدَبِ وَالنَّقْدِ المُشَارِكِ.
فِي كُلِّيَّةِ العُلُومِ وَالآدَابِ فِي عُنَيْزَة.
جَامِعَةُ القَصِيمِ

يَتَقَدَّمُ البَاحِثُ بِجَزِيلِ الشُّكْرِ لِجَامِعَةِ القَصِيمُ مُمَثِّلَةٌ فِي عِمَادَةِ البَحْثِ العِلْمِيّ
عَلَى دَعْمِهَا المَادِّيّ لِهَذَا البَحْثِ تَحْتَ رَقْمِ:

S - 12-1-2016- cosao - 1667

خِلَالَ السَّنَةِ الجَامِعِيَّةِ 1438 هـ/ 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إِلَى روح أُمِّيّ الَّتِي عَلِمَتْنِي مَعْنَى التَّضْحِيَةِ وَالْوَفَاءِ...
إِلَى روح أَبِي الَّذِي عَلِمَنِي مَعْنَى الْكَرَمِ وَالْعَطَاءِ...
إِلَى أَشِقَّائِي الَّذِينَ عَاهَدَتْ اللهَ يَوْمًا أَنَّ أَبَرَّهُمْ وَأَصِلَهُمْ مَا دَامَ قَلْبِي يَنْبِضُ بالحياة...
إِلَيهُمْ جَمِيعًا أَهْدِّي بَعْضِ نَفْسِي... وَلَوْ اِسْتَطَعْتِ لِأَهْدِيَتْ إِلَيهُمْ كُلُّ نَفْسِي.
د. مُحْسِنُ سَيِّد يُونِس عُثْمان

مُلَخَّصُ البَحْثِ

مُشْكِلَةُ الْبَحْثِ:- يعد الافتقار إلى المؤلفات التي تكشف اللثام عن إشكالية الحداثة من حيث الرفض أو القبول في المجتمعات المحافظة سمة مميزة لدراساتنا النقدية؛ حيث إن أغلب الباحثين من أصحاب الفكر والرأي يفضلون الأخذ بمبدأ السلامة، ويتجنبون الخوض في موضوعات وأمور، استقرت في أذهان الناس بصورة معينة، فهناك أزمة متفاقمة إزاء إشكالية الحداثة؛ تدفعنا إلى البحث في قلب التاريخ والتراث عما يسمى بتأسيس التنوع الثقافي، والدعوة إليه، وقبول الآخر، وتعددية الفهم، وغيرها من أصول الفكر العربي.

ويجدر بالباحث ـ في هذا المقام ـ أن ينوه إلى أن للكتابة في هذا البحث دوافع قوية أقلقته، وأثارت فكره لتناولها، منها: أنه اصطدم بمقولات بعض النقاد المكتوبة منها أو المسموعة أو المرئية التي تناولت **شعراء الحداثة** جميعهم بشيء من الاستهجان والاستنكار، وكأن الحداثيين جمعيهم خرجوا عن الملة، وضلوا عن جادة الصواب؛ فقد تضمنت أغلب هذه الآراء والمقولات حول **إشكالية الحداثة وشعرهاالكثير من الغلو والتطرف في تعميم الأحكام** على الجميع، **وهذا يعد ظلمًا بينًا؛** حيث إنهم لم يفرقوا في هذا بين نوعين من الحداثة، يكثر الخلط بينهما في ثقافتنا العربية المعاصرة، وهما: **حداثة الشكل، وحداثة الفكر**.

أَهَمِّيَّةُ الْبَحْثِ:لعل أهمية هذا البحث تكمن في محاولة سعي الباحث للانتصاف **لشعراء الحداثة،** فبعضهم استحق الإنصاف؛ فكم من الشعراء الحداثيين المتوازنين من لم تتعد قصائدهم حداثة الشكل؛ لكن مضامين قصائدهم وأفكارها معتدلة متوازنة، تدافع عن ثوابت الدين، وترسخ مبادئ العقيدة، وتعلي من شأن القيم الأخلاقية والإنسانية؛ ولذا شحذ الباحث همته في عرض الحقيقة كاملة، كما رآها عند استقراء أشعار بعضهم، فإن كان بعض الحداثيين؛ قد تطاول على الدين والثوابت، فهذا لا يمنع أن يكون بعضهم الآخر؛ قد تبنُّوا القضايا الإسلامية، ودافعوا عنها، كما أن بعضهم متصالحون مع العقيدة، وليسوا مصطدمين معها.

مَنْهَجِيَّةُ الْبَحْثِ: ـ تبنى الباحث في بحثه هذا منهجًا، يتناسب مع طبيعة الدراسات الأدبية، وهذا المنهج هو "المنهج التكاملي"، فهذا المنهج هو صاحب الأفضلية كما أظهرته خصائصه وآلياته؛ وذلك لأنه يستفيد من المعارف والعلوم المحيطة بنا في عالمنا، ويوظفها للوقوف على كشف أسرار القضايا الأدبية، وسبر أغوارها، والوصول في النهاية إلى النتائج المرجوة التي تجيب عن كل التساؤلات التي طرحها الباحث منذ البداية حول موضوعه.

أَهدَافُ الْبَحْثِ:-تعد هذه التوطئة للأفكار السائدة محاولة اكتشاف جديدة للنظرية الأدبية المعاصرة؛ من منطلق النظرة التكاملية الشاملة لتلك الفترة الحضارية من عمر الزمان، وكذلك تعد محاولة جادة في فهم الظواهر الأدبية ووصفها وتقييمها وتقويمها، على أساس أن كل الأبعاد الفنية والموضوعية مجتمعة في ثنايا شعر الحداثة؛ تسهم في تشكيل معالم هذا الشعر، وتمثل منطلقا لتقويمه، وطرحه طرحًا جديدًا، نخضعه للمقاييس الموضوعية والفنية التي تسلِّم طوعا أو كرها للمنطق والعقل المتوازنين؛ الأمر الذي يتطلب منا ـ نحن النقاد ـ إعادة النظر في الأمور التي أطلق عليها السابقون أحكاما مسبقة، دون الوعي الكلي بحقيقتها.

الْمُقَدِّمَة

ٹ ٹچ ٻ ٻ ه ه ه ه ے ےۓ ۓ ڭ ڭ ګ ګ ۇ ۇۆ ۆ ۈ ۈ ۇۋ ۋ وۋ
ۋ ۋ ې ې ٻ ٻ چ [المائدة:8]

إن الدراسات التي تناولت **الفكر العربي**، وحاولت انتشاله من أزمته المتفاقمة إزاء **إشكالية الانبعاث الحضاري الذاتي**، بعد امتحانه المصدوم بمجسدات النهضة **والحداثة الوافدة** من الغرب؛ تدفعنا إلى البحث في تاريخنا عما يسمى **بتأسيس التنوع الثقافي، والدعوة إليه، وقبول الآخر، وتعددية الفهم**، وغيرها من القيم التي تؤصل **للتعايش السلمي، والتكامل بين الناس أجمعين**، وعندما ننقب في قلب التاريخ والتراث؛ فسنجد أن أول من دعا إلى هذا التنوع الثقافي؛ هو **الرسول محمد**(ε)، وكذلك تبعه **الخلفاء الراشدون** من بعده، وقد حاول الإمام علي (τ) تكريس ذلك المفهوم القائم على **قبول الآخر، وتعددية الفهم** بقوله: (**القرآن حمَّال أوجه**)، وهناك الكثير من المقولات الأخرى غير هذه المقولة التي تدعو للتأويل، وتعدد الفهم في مجتمع، تنوعت فيه الأعراق والأجناس، وتعددت فيه المشارب والأهواء، وذلك بعد أن جاء نصر الله والفتح؛ فدخل الناسُ في دين الله أفواجًا، ثم عكفوا على فهم تعاليمه، وانكبوا على دراسة قيمه، وأصوله، ومبادئه، واستوعبوها حق الاستيعاب، ثم وفدوا إلى رحاب قدسه العلي طائعين ملبين من كل فج عميق. [1]

<u>**ومن الجدير بالذكر، يرى الباحثأن العوامل المؤدية إلى الإحباط فى عالمنا النقدي كثيرة،**</u> ومن أهمها نوم النائمين من النقاد، وعبث العابثين منهم، وكذلك تسلط المتسلطين الذين يفرضون آراءهم، ويقمعون غيرهم، إذا خالفوهم في الرأي، وعلى الرغم من ذلك؛ سيكون واجب جماعة النقاد والمثقفين الواعين مواجهة الإشكاليات النقدية الشائكة بالمصارحة، وبالموضوعية، وبالأمانة، وبوضعها تحت دائرة الضوء؛ لفحصها ومعرفة أدوائها، وليس بالتملق لها، أو بالهروب منها، عن طريق دفن رؤوسنا في الرمال، كما يصنع النَّعام عند مواجهة الأخطار، وذلك يكون عن طريق هضم الفكر النقدي الغربي بصوره وقضاياه واتجاهاته المتنوعة، وكذلك باستيعاب ثقافتنا النقدية والفكرية العربية بصورتها المتكاملة تمحيصًا وتحليلا واستقصاء.[2]

---

[1] للمزيد انظر: الفكر العربي وتحديات الحداثة: ضمد كاظم وسمي، منتديات ليل الغربة، آذار، 2009م، ص299 - 309

[2] للمزيد انظر: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية: د. محمد الناصر العجمي، كلية الآداب، سوسة، الطبعة الأولى، ديسمبر، 1998م، ص741 -743.

فقد أطلت علينا الحداثة برأسها ـ في الآونة الأخيرة ـ فحدثت هزة عنيفة في النظرية الأدبية المعاصرة، وتطورت تطورًا ملحوظًا، وتغيرت تغيرًا متلاحقًا وسريعًا؛ أدى إلى انقلابٍ؛ هزَّ كل القيم السائدة والمستقرة، وأفضى ـ في النهاية ـ إلى تغيرات جذرية في النظام الأدبي كله؛ أسفر عنه ذلك التنوع والتعدد في الأشكال الأدبية المعاصرة، وكذلك أسهم في خرق كل القواعد والأصول والأسس المتعارف عليها، وأزال الثبات عن كل الأمور المألوفة؛ ومن ثم تطورت معظم المفاهيم النقدية المتعارف عليها، وأصبحت تواليا كل يوم بالجديد والطريف[3]؛ وقد كانت **الحداثة الشعرية** شكلًا من أشكال ذلك التطوير والتغيير والتجديد.

ونتيجة لهذا التطوير الصادم، والتغيير المفاجئ، والتجديد السريع؛ اصطدم بعض المفكرين والنقاد وعلماء الدين بانهيار الثوابت والأصول القديمة؛ فغشيتهم الدهشة، وأصابهم الذهول، وزلزلوا زلزالًا عظيمًا؛ فأصبحوا من هول المفاجأة؛ يهاجمون كل جديد، ويرفضون كل طارق، ويتهمون كل تغيير بالمروق، ويغمضون أعينهم أمام حقيقة أضواء بروقه، ويضعون أصابعهم في آذانهم حذر رعوده، ويصدون عن الجديد بكل أنواعه: غثه وثمينه.

وكذلك اصطدم الباحث في أثناء البحث والقراءة ـ حول الشعراء المعاصرين بصفة عامة، **وشعراء الحداثة بصفة** خاصة ـ

بسيل جارف من الاتهامات الجائرة من قِبَل بعض المتشددين الغلاة في أفكارهم من النقاد وعلماء الدين الذين وصل بهم الأمر إلى درجة تكفير هؤلاء الشعراء، **واتهامهم جميعا بالمروق، وبالخروج عن الدين** [4].

فقد قامت بعض الدراسات النقدية والأدبية من أولها إلى آخرها، على أساس مهاجمة الحداثة والشعراء الحداثيين جميعهم ـ **دون تفريق** ـ ودون النظر بموضوعية إلى كل ما أبدعوه، فكل ما فعله هؤلاء، يكمن في أنهم أخذوا نماذج لبعض **شعراء الحداثة،** فيها خروج عن المألوف، ومبالغة وشطط في التناول، واتهموا كل **شعراء الحداثة** بمحاربة الدين،

---

[3] للمزيد انظر: نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية: د. عبد المنعم إسماعيل، مكتبة الفلاح،1401هـ/1981م، ص32.

[4] **فقد عاين الباحث بنفسه بعضهم،** وقد كان الواحد منهم عندما يسمع **اسم الحداثة؛** أو يقابل من يكتب وفق الشكل الجديد، **يستهجن عمله شكلا ومضمونا** قبل أن يقرأ أو يطَّلع عليه؛ فنجد بعضهم يتمتم بالآيات القرآنية، ويستعيذ بالله (Ψ)من الشيطان الرجيم، وكأنهم أصابهم مس من الشيطان؛ **فيحكم بعضهم بقوله** (هؤلاء كفرة) **ويردد بعضهم قوله تعالى:** {**فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**}، **وبعضهم الآخر يردد حديث الرسول(ε):"كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"، وبعضهم يصف الحداثة بأنها تدمير،** وليست تنوير وتعمير، ونسوا بل تناسوا أنه ليس كل الشعراء المعاصرين الذين يكتبون وفق الشكل الجديد مارقين، بل منهم **المؤمنون الصالحون** الذاكرون الخلوقون المتدينون المحافظون على دين الله (Ψ)والمدافعون عنه، الخ ....

والعصف بالثوابت، والتصادم مع العقيدة؛ لدرجة أن بعضهم غالوا وتشددوا؛ فاتهموهم جميعا بالكفر والزندقة و**الخروج** على الدين.

فالبحث ـ حقيقة ـ **موضوعه شائك،** قد يظن بعض من يقرءون العنوان من الوهلة الأولى أن الباحث قد ابتعد ببحثه كل البعد عن **جادة الصواب؛** وذلك عندما وقع اختياره على مثل هذا الموضوع؛ ظنًا منهم أن الشعراء الحداثيين جميعهم بعيدون كل البعد عن روح الإسلام وقيمه، وهذا ـ حقيقة ـ خطأ كبير، وقع فيه الكثيرون مرددين ما قاله السابقون لهم، دون وعي بتوجهات جُلِّ **شعراء الحداثة** المتوازنين الذين لا يجدون ثمة تناقض بين قيم الإسلام ومبادئه من ناحية، وتلك الحداثة الشكلية للشعر من ناحية أخرى، كما أنهم تناسوا أن هناك فرقًا بين **حداثة الشكل وحداثة الفكر،** تلك الحداثة التي تتبنى التغيير في الشكل لاستيعاب قضايا العصر؛ فالتطورات والمتغيرات التي طرأت على زماننا وحياتنا ومجتمعاتنا العربية ـ **قديمًا وحديثًا** ـ تتطلب هذا التغيير، وذلك التطوير في الشعر **شكلًا ومضمونًا.**

ومن ثم كان لا بد من **إخضاع آراء من يطلقون الأحكام** على **القديم أو الجديد** (5)من صنوف الأدب والفن والفكر لمزيد من **القراءة المتأنية،** تلك القراءة التي تعيد تصنيف ما كان سائدا في **تاريخ الشعر العربي** من موضوعات وملامح فنية، وتفنِّد ما دار من جدل نقدي حول نشأته، وطبيعته، ووظيفته، وملامحه الفنية، وموضوعاته، ومراحل تطوره، وظواهره، وقضاياه؛ من قبيل ما يسمى **بنظرية الأدب.**

وهذا الطرح الجديد **لإشكالية الحداثة** شعرًا ونقدًا على السواء؛ لن يكون **بالتعصب لأصحاب الدائرة الملتزمين** بمضامين الشعر التقليدي القديم وأشكاله، ورفض ما سواهم بحجة أنالالتزام بما هو سائد، يندرج تحت منطلق أنه **"ليس في الإمكان أبدع مما كان"،** وكذلك لن يكون **بمهاجمة أولئك الخارجين عن حدود الدائرة** من **الحداثيين،** وهم أولئك الذين تبنَّوا ما طرأ على الشعر القديم في ذلك الوقت من تغيير، وما تم نسفهمن أفكار ورؤى بحجة التجديد والتطوير، واندرجوا تحت ما يسمى بالخارجين عن المألوف؛ أو بمعنى آخر بالخارجين عن حدود **الدائرة،** وإنما سيكون **بالنظرة الموضوعية الحيادية** التي تنطلق من

---

(5) يحب الباحث أن يسجل ـ هنا ـ أنه لفتنظره ـ **في الآونة الأخيرة** ـ ذلك السجال الفكري حول جدلية الصراع بين القديم والجديد، **وحول حقيقة رفض كل ما هو خارج عن المألوف من بعض الشعراء أو النقاد أو قبوله من بعضهم الآخر،** وكذلك رفض ما يسمى بالأدبالإسلامي من بعضهم أو قبوله من بعضهم الآخر، وقد تباينت الآراء حول تلك القضايا، وانحصرت ما بين **الدائرة والخروج،** وقد دفع الباحث للخوض في هذاالنقاش والكتابة فيه ما دار من جدل في بعض الكتب النقدية والأدبية، وفي بعضالمواقع علىشبكة الانترنت، وفي بعض المقالات في الصحف والمجلات، وفي تلك النقاشات الحامية الوطيس فيالمنتديات الأدبية والفكرية، والنوادي الثقافية، **وكذلك في حلقات الدرس والنقاش في الجامعة؛ وهذا دفع الباحث لضرورة إعادة القراءة للقضايا المثارة حول شعر الحداثة، ودفعه للتساؤل:** لماذا هذا الصراخ والسباب الفكري على صفحات الكتبوالمجلات والانترنت، على خلفية هذه القضايا، على الرغم من ضرورة أن ينطلق الجميع من مبدأ عظيم، يؤكد تلك القاعدة الفكرية القائلة بأن **"الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية"؟!.**

النقد الجاد لأهم القضايا المثارة في ذلك العصر، وليس بإطلاق الأحكام المسبقة، مع ضرورة الإقرار في النهاية بجدلية **الصراع بين القديم والجديد**، وبين **الفن والموضوع**، أو - إن صح التعبير - بين **الشكل والمضمون**، أو- بمعنى آخر - بين **الرؤية والتشكيل**، وكل هذه القضايا، وكل هذه الأفكار، سيطرحها الباحث طرحًا جديدًا في ثنايا بحثه.

فلمَّا وجد الباحث هذا الغلو، وهذا التطرف في تعميم الأحكامعلى جميع شعراء الحداثة؛ عرض الحقيقة كاملة، كما رأها عند استقراء أشعار بعضهم، فإن كان بعض الحداثيين؛ قد تطاول على الدين والثوابت، وخرج عن المألوف، وهدم القيم والعادات والتقاليد، فهذا لا يمنع أن يكون بعضهم كذلك؛ قد تبنُّوا القضايا الإسلامية، ودافعوا عنها، كما أن بعضهم متصالحون مع العقيدة، وليسوا مصطدمين معها؛ومن ثمَّ يرى الباحث أن تعميم الأحكام على الشعراء جميعا ظلمٌ بيّنٌ.

فليس كل الشعراء المعاصرين تتضمن قصائدهم البعد عن الإسلام ومهاجمته في أشعارهم، وإن كان هذا لا ننكره عند بعضهم؛ ولهذه الأسباب ولغيرها؛ **شحذ الباحث همته وقلمه في عرض الحقيقة**، كي ينصف هؤلاء المتوازنين منهم والوسطيين الذين لم تتعد حداثتهم **سوى الشكل** فقط، أما حداثة الفكر، فهم بعيدون عنها كل البعد؛ وذلك انطلاقًا من قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [المائدة:8]

وعلى الرغم من ذلك؛ يعلم الباحث جيدًا أنه لن يسلم من النقد أو الهجوم **من أنصار الفريقين**: هؤلاء الذين تبنَّوا الحداثة، ودافعوا عنها، واتهموا مخالفيهم بالجمود والتخلف، وكذلك من أولئك الذين اتهموا معتنقيها بالكفر والزندقة، و**الخروج** عن الدين والمألوف والقيم من أنصار الفريق الآخر المناوئين لتلك الحداثة(6).

(6)**التهمة التي يتهم بها هؤلاء الشعراء أنهم جميعا حداثيون حداثة فكر؛ وإن كنت أقول إن حداثة معظمهم حداثة شكل،** وليست حداثة فكر، واعتقد أن هذه ليست تهمة تجعل المجتمع يلفظهم، وتجعل من يكتب عنهم، ويناقش شعرهم؛ يستقبح عملهم قبل قراءته، والتعرف على مضامينه، وللمزيد من الدراسات والكتب والبحوث والمقالات التي ناقشت **شعر الحداثة** والحداثيين **انظر الآتي**: الانحراف العقديفي أدب الحداثة وفكرها دراسة نقديةشرعية، تأليف د. سعيد بن ناصر الغامدي،(دار الأندلس الخضراء) - جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1424 هـ/ 2003 م، **وكذلك**: الانحراف الفكري (مفهومه - أسبابه - علاجه) في ضوء الكتاب والسنة: د. طه عابدين طه حمد، بحث منشور في جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، نشر بتاريخ:10/16/ 1428هـ،**وكذلك** الحداثة بين التعمير والتدمير، د. حسن بن فهد الهويمل، الطبعة الأولى1413هـ، دار المسلم ، الرياض، **وكذلك كتاب**: النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، دراسة فنية موضوعية: د. حسن بن فهد الهويمل، الرياض، طبعة 1419هـ/ 1999م، **وكذلك كتاب**: الحداثة من منظور إيماني: د. عدنان علي رضا النحوي، الطبعة الثانية 1409هـ/ 1989م، **وكذلك كتاب**: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان علي رضا النحوي، الطبعة الثانية، دار النحوي للنشر والتوزيع، 1414ه/ 1994م، **وكذلك كتاب**: الحداثة في ميزان الإسلام: د. عوض القرني، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م، **وكذلك كتاب**: دراسات في الأدب الحديث: د. حسن عبد السلام ،1420هـ/ 1999م **وكذلك كتاب**: "الحداثة تعود"، د.حلمي محمد القاعود، دار المعارج الدولية للنشر، الطبعة الأولى، 1412هـ، **وكذلك كتاب**: جناية الشعر الحر: د. أحمد فرج عقيلان، نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى، 1403 هـ/ 1982م، **وكذلك كتاب**: مذاهب الأدب الغربي (رؤية إسلامية)، د. عبد الباسط بدر، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية 1424هـ/ 2003م، **وكذلك**

وهذا الهجوم المتوقع، لن يثنيه عن قول كلمة الحق، **وتحكيم العلم والموضوعية والحيادية**، عندما يناقش مثل هذا الموضوع الشائك الذي تجنب الخوض في الحديث عنه الكثير من الباحثين زمنًا طويلا، وأغفل مناقشته بعض أصحاب الفكر والرأي مفضلين الأخذ بمبدأ السلامة، عندما يتجنبون الخوض في أمور، استقرت في أذهان الناس بصورة معينة، ولكنه أبى إلا أن يقول كلمة حق، شاهدها وعاينها بنفسه، عندما استقرأ شعر الحداثة المتوازن؛ فقال لنفسه: لماذا لا ننصف هؤلاء الشعراء، ونصنِّفهم ضمن قائمة الشعراء المجيدين الذين ينطلق شعرهم من قيم نبيلة، وتوجهات سامية، حتى لو كانت في ثوب حداثي جديد؟! فحداثتهم حداثة شكل لا حداثة فكر، وهناك فرق كبير بين هذه وتلك.

ولذا قسَّم الباحث خطوط بحثه إلى خطين اثنين، أو - إن صح التعبير - إلى قسمين اثنين: **القسم الأول منهما**: أطلق عليه الباحث اسم **(الدائرة)**،**والقسم الثاني**: أطلق عليه اسم **(الخروج)**، وسوف يفسر الباحث المقصود من قوله (**الدائرة** و**الخروج**) التي عنون بها البحث، **"فالدائرة"** تعني التزام الشعراء بكل ما يدور في فلك ما كان سائدًا في الشعر العربي القديم على مستوى (**التاريخ والموضوع والقضية والفن**)، فلا يخرجون عنه، ولا يغادرونه، وهم بذلك يندرجون تحت ما يسمىبمصطلح **"الدائرة"**.

أما "الخروج" فيعني عدم التزام الشعراء بكل ما يدور في فلك ما كان سائدًا في الشعر العربي القديم على مستوى (**التاريخ والموضوع والقضية والفن**)، وقد صنِّفهم الباحث بذلك على أنهم خارجون عن نطاق **الدائرة**، ويندرجون تحت ما يسمى بمصطلح**"الخروج"**.

هذا على مستوى الشعر، أما على **مستوى النقد**، فهناك **دائرة وخروج** أيضا، فقد انقسم النقاد في ذلك إلى نوعين: نوع من النقاد التزم حدود دائرة ما كان سائدًا من نقد في عصره، ولم يخرج عنه، فاندرج تحت ما يسمى بمصطلح **(الدائرة)**، ونوع من النقاد خرج عن دائرة ما كان سائدا في عصره، فاندرج تحت ما يسمى بمصطلح **(الخروج)**.

أما من ناحية المنهج؛ فقد تبنى الباحث في بحثه هذا **"المنهج التكاملي"**؛ ذلك المنهج صاحب الأفضلية مع طبيعة الدراسات الأدبية؛ حيث تتناسب خصائصه وآلياته معها؛

كتاب مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي د. عبد الباسط بدر - دار المنارة - جدة 1405ه/1985 م، **وكذلك كتاب**: التجديد في الشعر الحديث، د. يوسف عز الدين، النادي الأدبي الثقافي جدة، الطبعة الأولى 1406هـ/ 1986م، **وكذلك كتاب**: أباطيل وأسمار: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية، 1972م، **وكذلك كتاب**: هذا الشعر الحديث، د. عمر فروخ، دارلبنان، بيروت، 1978م، **وكذلك كتاب**: حوار مع الشعر الحر: د. سعد دعبيس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى،1971م، **وكذلك كتاب**: أسلوب جديد في حرب الإسلام: جمعان عايض الزهراني، رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1991م، **وكذلك كتاب**: الحداثة في الشعر العربي المعاصر، حقيقتها وقضاياها، رؤية فكرية وفنية، د: وليد قصاب، الطبعة الأولى، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 1996م. **وكذلك كتاب**: القصيدة الحديثة وأعباء التجاوز: د. أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الأولى، 1407 هـ/ 1987م، **وكذلك كتاب**: الغارة على التراث الإسلامي: جمال سلطان، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، 1410 ه/ 1990م، **وكذلك كتاب**: أدبالردةقصةالشعرالعربيالحديث، د.جمالسلطان، مركز الدراساتالإسلامية، بريطانيا،1412هـ/ 1992م، **وكذلك كتاب**: في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية: د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1399هـ / 1979م، **وكذلك كتاب**: الإسلام والحداثة: د. عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، طبعة1991م، **وكذلك كتاب**: الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث: د. محمد الكتانيي، دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى 1403هـ/ 1982م، **وكذلك كتاب**: نقض أوهام المادية الجدلية لنقض أصول الشعر الحر، دراسة نقدية في العروض وأوزان الشعر الحر: د. إسماعيل جبرائيل العيسى، دار الفرقان، عمان، 1986م، وكذلك: الشكل في القصيدة وتحديات الشعراء الإسلاميين: د. حسن الأمراني، مجلة الأدب الإسلامي، العدد التاسع عشر، المجلد الخامس، سنة1419هـ، **وغيرها من الكتب والدراسات والبحوث والمقالات التي تناولت شعر الحداثة**، وقد كان أغلبها يهاجم الحداثة والحداثيين، وبعضها القليل، يستحسنها ويشيد بها.

فهويستفيد من المعارف والعلوم المحيطة بنا في عالمنا، ويوظفها للوقوف على كشف أسرار القضايا الأدبية، وسبر أغوارها، والوصول في النهاية إلى النتائج المرجوة التي تجيب عن كل التساؤلات التي طرحها الباحث منذ البداية حول موضوع بحثه.

وقد توصل الباحث إلى خطة، ربطت بين **الجانبين:(الفني والموضوعي)**؛ وذلك من خلال إخضاع **شِعْر الْحَدَاثَةِ** على مستوى **التاريخ والموضوع والقضية والفن** لثلاثة أبعاد رئيسة؛ هي: **البعد الديني والبعد الأخلاقي والبعد الفني،** وقد قسمها الباحث في مجملها إلى **(مقدمة، وأربعة مباحث)**، ناقش في كل منها بعض القضايا، وتضمنت مناقشته لها بعض النقاط التي سيفصلها الباحث **فيما يأتي**:

المقدمة: تضمنت منطلقات البحث وأسبابه وتوجهاته، وأهم الدوافع والمثيرات التي دفعت الباحث للكتابة فيه، وعرضا تفصيليا للخطة والمنهج، كما طرح الباحث من خلالها مجموعة من الأسئلة التي كانت بمثابة التمهيد للبحث، واستطاع من خلالها أن يفتح آفاقًا جديدة للمناقشة والعرض، وأن يبني على أساسها فرضية البحث.

أما المبحث الأول:فعنوانه:**(إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ عَلَى مُسْتَوَى التَّارِيخِ)**، وقد رصد فيه الباحث أهم القضايا النقدية والآراء التي أثارهاالنقاد حول **"شِعْرِ الْحَدَاثَةِ"على مستوى التاريخ،** وقد صنَّفها الباحث ــ من وجهة نظر النقاد ـ بين **الدائرة** و**الخروج**؛ منطلقًا من مجموعة **(الخلفيات الثقافية والمعرفية القديمة المتحكمة في توجيه الشعر العربي على مر العصور)** وموضحًا **وجهة نظره** في آرائهم تلك حول الحداثة الشعرية ـ **على مستوى التاريخ** ـ بين **الرفض والقبول**.

أما المبحث الثاني: فعنوانه:**(إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ عَلَى مُسْتَوَى الْمَوْضُوعِ)**،وقد عرض فيه الباحث أهم القضايا النقدية والآراء التي أثارتها الموضوعات والأغراض التي يدور في فلكها **شِعْرِ الْحَدَاثَةِ،** وقد صنَّفها الباحث ــ من وجهة نظر النقاد ـ بين **الدائرة** و**الخروج**؛ موضحًا **وجهة نظره** في آرائهم حول الحداثة الشعرية ـ **على مستوى الموضوع** بين **الرفض والقبول**.

أما المبحث الثالث: فعنوانه:**(إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ عَلَى مُسْتَوَى الْقَضِيَّةِ)**،وقد أبرز فيه الباحث أهم القضايا النقدية والآراء التي دارت بين النقاد حول **إشكالية الحداثة ـ** بصفة عامة ـ و**شِعْرِ الْحَدَاثَةِ ـ** بصفة خاصة، وصنَّفها الباحث ــ من وجهة نظر النقاد ـ بين **الدائرة** و**الخروج**؛ موضحًا **وجهة نظره** في آرائهم حول الحداثة الشعرية ـ **على مستوى القضية ـ** بين **الرفض والقبول**.

أما المبحث الرابع: فعنوانه:**(إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ عَلَى مُسْتَوَى الْفَنِّ)**،وقد رصد فيه الباحث أهم القضايا النقدية والآراء التي دارت حولَ التقنيات الفنية الجديدة **لشِعْرِ الْحَدَاثَةِ** على ـ **مستوى الفن** ـ بين **الدائرة** و**الخروج**، موضحا أهم ما دار حولها من قضايا وآراء ونقاشات من النقاد، وصنَّفها ـ **من وجهة نظره** ـ بين **الرفض والقبول**.

الْخَاتِمَةُ: توَّج الباحث بحثه **بخاتمة،** تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها، بعد أن عرض عرضا وافيا، وناقش مناقشة مستفيضة لأهم القضايا والأفكار والآراء التي أثارها في ثنايا بحثه؛ ثم ذيَّل بالرأي الشخصي ـ في النهاية ـ لما توصل إليه بعد المناقشة.

ويرجو الباحث من الله ـ **عَزّ وَجَلّ** ـ أن يوفقه لهذه القراءة الجديدة حول **شِعْرِ الْحَدَاثَةِ**، كما يرجوه أن يكون عمله خالصًا لوجهه الكريم **سُبْحَانهُ وَتُعَالَى**، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يصدقنا، ويعفو عنا، وأن يلهمنا ما يرشدنا، وأن يرزقنا ما يسعدنا؛ وأن يهدينا دروب الحكمة؛ وأن يحفظنا، ويسددنا، **إِنّهُ ولي ذلك والقادر عليه، وهو مَنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ، وَهُوَ الْهَادِيُّ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَمَا تَوْفِيقُنَا إلا بِاللَّهِ.**

د. مُحْسِن سَيِّد يُونِس عُثْمان

(المبحث الأول)
(إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ عَلَى مُسْتَوَى التَّارِيخِ)

شهدت النظرية النقدية الأدبية العربية على مدار تاريخ الأدب العربي كله تطورات كثيرة ومتعددة ومتلاحقة، وتمازجت ـ منذ نشأتها ـ **الناحية الفنية فيها بالناحية الموضوعية**، وارتبطت **ارتباطًا وثيقًا بالبعد الديني والقيمي والأخلاقي والعرف الاجتماعي** السائد في المجتمع العربي، وراعى الشعراء في شعرهم ـ منذ البداية ـ حاجات جمهورهم، وقضايا مجتمعاتهم؛ فتمايزت توجهاتهم بين الأبعاد الفنية والموضوعية منطلقة من اتجاهات ثلاثة؛ تتمثل في مدى التزام الشعراء **بالبعد الأخلاقي والبعد الديني والبعد الفني**؛ وهذا يمثل حدود **الدائرة**، أما **الخروج** عن حدود هذه الأبعاد الثلاثة؛ فإنه يمثل نمطًا مغايرًا ـ على مدار تاريخ الأدب العربي كله، يسلكه الشعراء نحو **الخروج** عن المألوف وتحطيمه، ومخالفة كل حدود هذه الأبعاد الثلاثة التي يلتزمها الشعراء منذ زمن بعيد.

وعندما ننقب عن **الخلفيات الثقافية والمعرفية المتحكمة في توجيه الشعر نحو القديم أو الجديد**(7)ـ في تاريخ النقد العربي ـ فسنجدها كثيرة ومتعددة، وكذلك عندما نرصد وجهات النظر والرؤى والمنطلقات الفكرية نحو بعض الظواهر الحديثة؛ فسنجدها متباينة؛ وهذا التباين في موقف النقاد والمثقفين والأدباء وأصحاب الرأي والفكر العربي؛ جعل الباحث يرصد كل وجهات النظر لهؤلاء النقاد المحدثين الذين وضعوا شعر الحداثة في ميزان النقد؛ فوجد اختلافا كبيرًا بينهم، حيث خرجت أصوات منهم، تشجب وتستنكر وتكفر وتزندق كل من يصادفها من **شعراء الحداثة، دون تفريق** أوتمييز بين ما هو غث وما هو ثمين، وهؤلاء نجدهم قد وضعوا كل **شعراء الحداثة** في سلة واحدة، وأمطروهم ـ جميعا ـ سبابا وقذفا دون استثناء، بحجة أن منهم من تطاول على الدين والمعتقدات.

وهذا الطرح الذي يعمم الأحكام **دون تفريق**، يعد نوعًا من **الغلو والتطرف والمبالغة والشطط**، فهناك من **شعراء الحداثة** من يعرف حق المعرفة واجبه نحو خالقه، ونحو مجتمعه، ونحو دينه، ويعرف قدر **حرية الإبداع** التي ينبغي أن يسير في فلكها، وهؤلاء بطبيعة الحال لا نساويهم بمن لا يعرفون واجبهم نحو خالقهم ومجتمعاتهم ودينهم، ويستغلون حرية الإبداع فيما لا ينبغي لهم أن يتطاولوا عليه **بالخروج** عن حدود **الحرية المسئولة** التي تخلق نوعا من التوازن بين ما قيل، وما يجب أن يقال، وبين ما هو مطروح على ساحة **الفكر الإنساني** أمام الجميع، وما يمكننا أن نستصفيه منه ونقدمه، فشتان بين من **يعرفون** ومن **لا يعرفون** .

فالحداثة الشعرية ليست وليدة العصر الحديث فقط، بل هي وليدة كل عصر من العصور الأدبية؛ فإذا نقبنا عنها على مدار **تاريخ الأدب العربي** كله؛ فسنجدها تتمثل بشكل من الأشكال، وبصورة من الصور في كل عصر من هذه العصور، بداية **بالعصر الجاهلي**، وانتهاء **بالعصر الحديث**، ومرورا بعصر **صدر الإسلام، والعصر الأموي، والعصر العباسي، وعصر الدول المتتابعة، والعصر المملوكي، والعصر العثماني، والعصر الأندلسي**، غير أنه في **عصرنا الحديث**؛ تجلت الحداثة الشعرية؛ وأصبح يركز عليها الضوء بصورة مكثفة؛ فأبهرتنا بديناميكيتها الهائلة، وصدمتنا بأفكارها المتغيرة، وطالعتنا بأشكالها المتمايزة المتجددة.

وأعتقد في حدود هذا القول السابق أن إمكانيات إنتاج حداثتنا العربية والإسلامية متوفرة وكثيرة، فلا نزال حتى اليوم بين أخذ ورد حول إمكانيات إنتاج حداثتنا، ونسأل أنفسنا دائما: هل ينبغي لنا الدخول في العولمة قبل أن تكون لنا حداثتنا؟ ونسينا أو تناسينا أننا أنتجناها بالفعل، وأنها موجودة لدينا قبل عدة قرون، وأن بذورها التاريخية بدأت في **العصر الجاهلي**،

(7)للمزيد انظر:الموقف الإسلامي والخلقي للنقاد العرب من بعض شعراء السفه: د. وليد قصاب، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث والسبعون، مارس 1214م، ص 28-37.

وترعرعت شجرتها، ونضجت ثمارها، وآتت أكلها منذ أن تأسست دولة **الإسلام** في المدينة المنورة زمن **الرسول الأعظم محمد بن عبد الله**(ε). [8]

فالمسألة **لا تكمن بالدرجة الأولى في أن نكون حداثيين أو غير حداثيين**، أو في أن نظل مسكونين **برهاب الحداثة، أو بسحرها الأخّاذ**، وإنما الأمر يكمن في أن ننظر إلى **ظاهرة الحداثة** على أنها ظاهرة تاريخية، تتداولها الأيام والأماكن، وأنها تخضع للتغير والتبدل والتضاد، وأنه قد تم تداولها في **المعطيات العربية والإسلامية الأصيلة** تداولا يقترب في وجوه عدة، مما جرت عليه الحال الآن في **فضاءات الحداثة في الغرب**. [9]

فإذا أردنا أن نثبت أن **الحداثة الشعرية لها أصول في موروثنا الثقافي العربي** بالدليل العملي؛ فسيكون منطلقنا هو أن التغيير والتجديد **والخروج** على المألوف، يتميز به **كل عصر من العصور** [10]؛ ولا يخص عصرًا بعينه، **ونسأل أنفسنا ـ هنا ـ هل صحيح الأخذ بالنموذج الغربي وتطبيقه؟** في الوقت الذي نسمع فيه نداء العقل يقول لنا: إن نهجنا وتفكيرنا العلمي قادر على أن يكون مرجع ذاته، وأنه قد أنتج حداثة بالفعل، تتمثل فيما سبقنا إليه **"ابن رشد"، و"ابن سينا"، و"ابن الهيثم "و"ابن خلدون"،و"الفارابي" و"الخوارزمي"، و"واصل بن عطاء"**، وغيرهم؛ وذلك عندما أسسوا لنا رؤية معرفية وفقهية وثقافية جديدة في المجالات كافة، وقد تداخلت في ثناياها دورة الاجتماع العامة، وكانت تنبه، وتشير، وتساعد على بناء السياسات المتغايرة التي أفضت إلى ترسيخ خطوط انتظام وحراك متعددة، فهل سنبقى عرضة لسلطات التفكيك والبناء، والتناص، والبنيوية والتفكيكية، والحداثة، وما بعد الحداثة، وما بعد بعد الحداثة، والرمزية، والدادية، والسريالية، والطبيعية، والوجودية، وأدب العبث، وغيرها من المسميات التي لا تنتهي في عالم غربي ذري استنساخي، يسمي الأسماء بمسميات، تنبع من أصول أفكارهم الغربية، مع ضرورة العلم أننا نمتلك أدواتها من الأساس، ومارسناها ممارسة عملية، فهي موجودة بالفعل على مدار تاريخ فكرنا العربي. [11]

ومن ثم كان لابد من رصد **" تحولات الشعرية العربية"** ـ على مستوى الشكل والمضمون ـ على مر العصور؛ حيث إنها تمثل مظهرا من **مظاهر الحداثة الشعرية**، فإن ما طرأ على الشعر من تطور في **العصر الجاهلي**؛ يمثل تحولا من **تحولات الشعرية العربية المتسارعة**، فبعد أن كان الشعر رجزًا تحول إلى **قصيدة محكمة النسج**، وكذلك ما طرأ على الأغراض من تغيير وتهذيب في **عصر صدر الإسلام**، وما ازدهر من شعر النقائض في **العصر الأموي**، وما طرأ على القصيدة من تغيير فيما يخص الأوزان والقوافي في **العصر العباسي**، أما في **العصر الأندلسي**؛ فظهر لنا ما يسمى **بالموشحات**، ثم طرأ على القصيدة العربية ـ **في**

---

[8] للمزيد انظر: تدافع العقول: د. زكي حسين جمعة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، كانون الثاني، 2013م، ص 13.

[9] للمزيد انظر: تحرير الإسلام ورسائل زمن التحولات: د. فهمي جدعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 2014م، ص369.

[10] للمزيد انظر: إشكالية الحداثة بين التأصيل والتغريب: د. محسن سيد يونس عثمان، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد الخامس عشر، والسادس عشر، الجزء الأول، سنة 2004م، ص 427.

[11] للمزيد انظر: تدافع العقول: د. زكي حسين جمعة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، كانون الثاني، 2013م، ص 13.

عصرنا الحديث ـ أنماط من التغيير، تتمثل في المدارس الشعرية المختلفة، بداية **بالكلاسيكية**، وانتهاء **بقصيدة النثر**، ومرورا **بالرومانتيكية، وبالواقعية، وبالرمزية**، وبغيرها من المدارس الشعرية؛ فكل مدرسة شعرية من هذه المدارس؛ أضافت لونا من ألوان التغيير والتجديد في الشكل أو في المضمون على نحو ما، حتى طالعتنا مؤخرا قصيدة **شعر التفعيلة**، أو **قصيدة الشعر الحر**، كما يسميها بعض النقاد، ثم تلاه ما يسمى **بقصيدة النثر** التي وُصِفَت بأنها ثورةٌ على الأوزان والقوافي، وعلى تقاليد القصيدة العربية القديمة.[12]

ومن الجدير بالذكر **ـ في هذا المقام ـ** ضرورة توضيح أن **قصيدة النثر** رُفِضَت منذ نشأتها، وكان من أسباب رفضها أنها جاءت مقترنة بعبارة **"مصنوع في الخارج"**؛ ولهذا نَفَرَ الناسُ منها، **ولنتساءل**: لماذا لم ينفروا إذن من كل وافد أجنبي جديد؟!، فكل المذاهب الأدبية، هي وافد أجنبي غربي جديد، ونسي هؤلاء، أو تناسوا أن قصيدة النثر لها جذور في العربية، فإذا أقرَّ العرب بالتوقف عن الأخذ من الغرب؛ فلنتوقف إذن عند **مدرسة الإحياء والبعث**، أو**الكلاسيكية**، وكل ما هو **تقليدي**، ولا نتجاوزه بحجة أن ما عداه من الأشكال الشعرية الأخرى هو ـ في حقيقة الأمر ـ مكتوب عليه (**صنع في الغرب**)[13].

ولهذه الأسباب المنطقية؛ كان لابد علينا إذن، إما أن نقبل كل شيء، أو نرفض كل شيء، فحقيقة الأمر تكمن في أن **قصيدة النثر** هذه، وسابقتها المسماة **بقصيدة شعر التفعيلة**، تعد ـ **شئنا أم أبينا** ـ مظهرًا من مظاهر تلك **التحولات الشعرية العربية المتتابعة** على مر العصور؛ وهي تمثل مظهرًا من **مظاهر الحداثة الشعرية**، وتمثل شكلا من أشكال **الخروج** عن حدود **الدائرة**، يفرضه التاريخ والواقع والتطور السريع المتلاحق.

ومن أمثلة **الشعر الذي يمثل الخروج عن حدود تلك الدائرة على مر العصور كذلك؛** شعر **الصعاليك** في الجاهلية، حيث يمثل فكرة الثائرين على التقاليد القبلية؛ فهو لذلك أدب **تقدمي حداثي**، وغزل **"عمر بن أبي ربيعة"** يمثل ذلك الجيل النامي الناشئ في العصر الأموي الذي أراد أن يوجه إلى السياسة الأموية احتجاجًا سلبيًا، فهو ـ أيضًا ـ شعر (**تقدمي حداثي**)، وكذلك **الأدب الماجن** الذي ظهر في العصر العباسي؛ فإنه تعبيرٌ عن جيلٍ فتيٍ من **الشعوبيين**، كره السيادة العربية، وأخذ يعلن الثورة على ضياع الفرد الفنان في غمار الفوضى الاقتصادية، والسيطرة المذهبية الصارمة، فهو ـ أيضا يسمى بنفس التسمية ـ شعر (**تقدمي حداثي**)؛ وذلك لأنه يمثل أفكار تلك القوى النامية في مجتمع ما، وهكذا سنجد مظاهر الحداثة الشعرية كثيرة ومتعددة؛ و**إذا نقبنا عنها في تاريخ أدبنا العربي**؛ فإنها ستطالعنا بمفاجآتها في كل عصر من العصور السابقة على مستوى تاريخ الأدب العربي كله.[14]

---

[12] للمزيد انظر: إشكالية الحداثة بين التأصيل والتغريب: د. محسن سيد يونس عثمان، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد الخامس عشر والسادس عشر، الجزء الأول، سنة 2004م، ص 427 - 428.

[13] للمزيد انظر: قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية: د. عبد العزيز موافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2006م، ص13.

[14] للمزيد انظر: بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره: د. إحسان عباس، الطبعة الرابعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1978م، ص229.

أولا: مظاهر الحداثة الفكرية والشعرية في العصر الجاهلي بين الدائرة والخروج: إن الشاعر في العصر الجاهلي كان له دور اجتماعي عظيم في قبيلته، فهو يتغنى بأمجادها وبأيامها وبأنسابها وبمعتقداتها، حتَّى قيل إنه هو **"نبي قبيلته وزعيمها في السلم وبطلها في الحرب"**[15]، فهو المرجع الحياتي عندهم؛ لأنهم **"لم يكن في أيديهم كتاب يرجعون إليه، ولا حكم يأخذون به"**[16].

وكما يحدثنا **"ابن رشيق القيرواني"** في كتابه العمدة ـ عن اهتمام العرب بالشعر والشعراء؛ **فيقول**: "إذا نبغ في القبيلة شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم" [17]؛ **فهو**" يحمي عرض بني قبيلته، ويخلِّد بلاءهم، ويشارك في المعارك راشقًا العدو بسهام شعرية، لها قوةٌ خارقةٌ للعادة"[18].

وبسبب هذه المكانة الاجتماعية المرموقة للشعراء في العصر الجاهلي؛ احتلَّ الشاعر منزلة لا تعدلها منزلة، وقد كان الشعر ـ **في ذلك الوقت** ـ في حدود دائرة بعدين: **البعد الأخلاقي والبعد الفني**(19)؛ فالبعد الفني يتمثل في التزام الشعراء في العصر الجاهلي بملامح الشعر العربي التقليدي الملتزم بالوزن والقافية.

أما البعد الديني فلم يكن قد ظهر بعد، وإن كان يطالعنا بين الحين والآخر بشاعرٍ مثل **"زهير بن أبي سلمى"** تظهر في ثنايا قصائده بعض الأبيات التي تنم عن توحيده، وإيمانه بالله الواحد الأحد، وبالدار الآخرة، وبالبعث وبالخلود في الجنة أو في النار؛ وبغيرها من المعاني الدينية؛ وذلك لأنه عرف عنه أنه كان يدين بالحنيفية ديانة إبراهيم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات، وأتم التسليمات. [20]

وإذا أردنا أن نضرب بعض الأمثلة على بعض الشعراء الملتزمين ـ أيضا ـ بحدود **الدائرة** في العصر الجاهلي؛ فسنجد**"عنترة بن شداد العبسي"**؛ ذلك الفارس الجاهلي الذي يقدم لنا أنموذجًا بطوليًّا في المجال الأخلاقي؛ فعلى الرغم من جاهلية عنترة؛ نجده عفيفًا، يغض الطرف عند النظر لجارته، إذا ظهرت أمامه، كما أنه سمح كريم السجايا والأخلاق، شجاع

---

[15] تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، دار اليوسف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص59.

[16] غواية التراث: د. جابر عصفور، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، الطبعة الأولى، أكتوبر 2005م، ص 114.

[17] العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1988م، ص153.

[18] تاريخ اللغة والآداب العربية: شارل بلاير، تعريب رفيق بن وناس وجماعته، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1997م، ص87.

[19] للمزيد انظر: من قضايا الأدب الإسلامي: د. وليد قصاب، دار الفكر، دمشق، 1429هـ / 2008م، ص 62، وما بعدها.

[20] للمزيد انظر: الاتجاه الإسلامي في النقد العربي (استحسان المعاني واستقباحها): د. وليد قصاب، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الرابع والثامنون، 2014م، ص 4-16.

عظيم الشمائل والصفات، يغيث الملهوف وينجده، وهكذا لابد أن يكون الإنسان السوي بفطرته[21](**فعنترة يدور بأفعاله هذه في نطاق الدائرة، ويدور في فلك ما هو سائد في ذلك الوقت، وغيره الكثير من الشعراء في العصر الجاهلي، يدورون في حدود تلك الدائرة**).

بل إننا سنذهب إلى ما هو أبعد من ذلك عندما نقول: إن بعض أولئك الشعراء الخلعاء من القبائل وصعاليكها؛ كانوا يلتزمون بهذه المعايير الأخلاقية؛ وليس أدل على ذلك من قصيدة "**لامية العرب** "الشهيرة، **للشنفرى الأزدي**، فقائلها شاعر صعلوك، غير أنه ذو نفس أبية كريمة، تأبى الضيم، وترفض المذلة، [22](**وهذا أيضا يدور في نطاق حدود الدائرة، ويدور في فلك ما هو سائد في ذلك الوقت**).

أما إذا رصدنا شعراء **الخروج** عن نطاق **الدائرة**؛ فسنجد"**امرأ القيس**"(**الملك الضِّلِّيل**) الذي جعله النقاد أمير شعراء الجاهلية، كما جعلوه من شعراء الطبقة الأولى، غير أنه تغزَّل في زوجة أبيه الملك "**حُجُر الكندي**" فخلعه أبوه، وطرده؛ وذلك لأنه خرج عن حدود دائرة القيم العربية الأصيلة، وعن منظومة الأخلاق المتوارثة في شعره، فالعرف الاجتماعي السائد في سلوكه وسيرته الشخصية؛ جعله ينخرط في طائفة الشذَّاذ وخلعاء القبائل والصعاليك، ممن يمكن أن ندعوهم بالتعبير العصري الخارجين على القانون أو المطاريد أو قطَّاع الطرق؛ وكذلك الأعشى يعد مثلا في التفحش في الشعر، والفجور والعهر، بل الاستبهار بالفواحش[23]، (**وهذا يعد من قبيل الخروج عن المألوف في ذلك العصر**).

وكذلك نرصد أوقات **الخروج** عن المألوف في أغراض ذلك العصر، وذلك عندما ابتذل الشعراء ماء وجوههم بطلب التكسب بالمال عند المدح، وهذا هو ما نسميه بالمدح المتملق، أو عندما تغزلوا غزلا فاحشا بذيئا، لا يتناسب مع طبيعة العربي وأخلاقياته وعفته، أو عندما فخروا بالباطل، أو عندما هجوا هجاء مقذعا، وسبوا الأعراض، وفعلوا كل ما يناقض طبيعة الإنسان السوي[24]؛ أي أن الشعر في ذلك الوقت، خرج عن حدود البعد الأخلاقي؛ ولذا اجتمعت هذه الأغراض الشاذة؛ لتسف من أقدارهم، وتنتقص من مكانتهم العالية، (**وهذا الانحدار في المكانة؛ يعد خروجا عن نطاق الدائرة، وذلك بعد أن وجَّه الشعراء الشعر وجهة أخرى غير التي نشأ من أجلها، وهذا كله يعد من قبيل الخروج عن المألوف، والخروج عن الدائرة في ذلك العصر**).

وخلاصة القول في هذا العصر الجاهلي من حيث **الدائرة** أو **الخروج**؛ يتمثل في أن الشعراء الجاهليين جميعهم؛ التزموا **بحدود دائرة البعد الفني**؛ نظرًا لالتزامهم في ذلك الوقت بملامح

---

[21]للمزيد انظر: التيار الخلقي في وظيفة الشعر عند العرب (العصر الجاهلي): د. وليد قصاب، مجلة التراث العربى، سوريا، المجلد السابع عشر، العدد السادس، 1997م، ص 51، وما بعدها.

[22]للمزيد انظر:وظيفة الشعر في النقد العربي القديم: د. وليد قصاب، مجلة العرب، السعودية، المجلد التاسع والثلاثون، العدد السابع والثامن، يونيو 2004م، ص 369-380.

[23]للمزيد انظر:الموقف الإسلامي والخلقي للنقاد العرب من بعض شعراء السفه: د. وليد قصاب، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث والسبعون، مارس 1214م، ص 28-29.

[24]للمزيد انظر: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د. علي علي صبح، الجزء الثاني، القاهرة، الجريسي، 1418هـ/ 1998م، ص 166.

الشعر العربي التقليدي القديم، حيث يبدأ الشعراء قصائدهم بالوقوف على الأطلال مع الالتزام بالوزن والقافية؛ **ومنهم**: زهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شدّاد، والحارث بن حلزة، والأعشى، والنابغة الذبياني، وعبيد بن الأبرص، وغيرهم من الشعراء؛ غير أن بعضهم شذَّ عن القاعدة، وخرج عنها، ومنهم **"عمرو بن كلثوم"**، وذلك حين خرج عن تقاليد القصيدة الجاهلية؛ حيث بدأ الشعراء الجاهليون جميعهم بالوقوف على الأطلال، غير أن **"عمرو بن كلثوم"** بدأ معلقته بوصف الخمر، **أما البعد الديني**، فلم يكن يمثل ظاهرة في هذا العصر إلا من خلال بعض الأبيات المتناثرة هنا أو هناك، فقد كانت تتضمن بعضها قيم الديانة الحنيفية وتعاليمها.

ثانيا: مظاهر الحداثة الفكرية والشعريةفي عصر صدر الإسلام بين الدائرة والخروج: مرَّ العصر الجاهلي، وانقضى؛ ثم جاء **عصر صدر الإسلام**، فأحس العربي بقوة ما جاء به القرآن الكريم من **بيان وسحر أخَّاذ**؛ ذلك الكتاب السماوي الذي يمثل أعلى درجات البلاغة؛ حيث عُوتِب من استرق سماعه ـ وهو **الوليد بن المغيرة** ـ لماذا أعجب به؟! فقال:"والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو، ولا يعلى عليه"، فالعرب ـ حينئذ ـ **نظروا إلى أدبهم، فاستصغروه**، وكذلك ضاقت عليهم الحريات، فأصبح لا يقال كل شيء، وتحددت الأغراض التي يقال فيها؛ حتى لا تخرج عن قوانين الدين، وكذلك ضاق الوقت بهم؛ حيث **تشاغل الشعراء بالإسلام عن الشعر**؛ فازدهر النثر والخطابة أكثر. (25)

غير أن **الإسلام أحدث تحولا ملموسًا في مسار الشعر العربي**، وهذا لم يحدث فجأة، بل احتاج إلى وقت غير قليل لتمثيل المعطيات الجديدة واستيعابها، تلك التي أرسى دعائمها القرآن الكريم، سواء على مستوى الموقف الفكري أو على المستوى الفني الجمالي؛ كاختفاء بعض الأغراض وظهور بعضها، وكالتضمين للقرآن والحديث، وشيوع النثرية، والصدق، والرقة، والوضوح، وتهذيب الفن، والالتزام النابع من القيم الإسلامية، والفخر بروابط الأخوة، والتعبير عن القيم الإسلامية والتربوية، والأخلاقية، والعلاقات الاجتماعية، وكذلك الإشارة إلى العبادات والمناسك وغيرها، وهذا كله يمثل **الخروج** عن المألوف مقارنة بالعصر السابق، وهو مظهر من مظاهر الحداثة، ومسارا جديدا من مسارات **" تحولات الشعرية العربية"**. (26)

وقد صاحب ذلك التحول الفني للقصيدة **في عصر صدر الإسلام ثورة إسلامية عارمة أفرزت** تحولا وانقلابا معرفيا ضخمًا، تلك الثورة العارمة كانت حداثة على كل المفاهيم والتقاليد والأعراف السيئة الموروثة من الجاهلية؛ ومساوئها الأخلاقية، وكان سببها بعث الرسول محمد(ε)، وذلك عندما جاء بالرسالة إلى الناس كافة، فكانت بعثته(ε) خروجا على كل ما هو سائد وتقليدي سيئ، فقد أخرج العرب برسالته (ε)من كهوف الظلم، والجهل،

---

(25)للمزيد انظر: خط سير الأدب: د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1411ه/1990م، ص19- 20.

(26)للمزيد انظر: في الأدب العربي القديم عصوره واتجاهاته وتطوره ونماذج مدروسة منه: د. محمد صالح الشنطي، المجلد الأول، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م/ 1417ه، ص 264- 272.

والخرافة، والتخلف الحضاري التي عاشوا فيها أزمانا طويلة في ظل الجاهلية الأولى، ونقلهم إلى نور العلم والتقدم والازدهار الحضاري.

غير أنه لم ينسف الماضي كلية، بل أبقى (ε) على بعض المعاني والقيم الحسنة التي تتفق مع الروح الإسلامية؛ كالكرم ،والشجاعة، ونجدة الملهوف، والاعتزاز بالنفس، والإيثار والشرف، والسيادة، والكرامة، والوفاء بالوعد، والحفاظ على العرض، والغيرة على الأهل، والحفاظ على الزوجة، وصلة الرحم، والتضحية بالغالي والنفيس من أجل الحفاظ على القبيلة، وغيرها من الصفات والمبادئ المحمودة في الإنسان العربي، فالدين الإسلامي الحنيف يدعو إلى إتمام مكارم الأخلاق والفضائل؛ أي أن مكارم الأخلاق كانت موجودة؛ غير أن الإسلام جاء ليتممها؛ وفي هذا الشأن يقول الرسول ε :(**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**).

فإذا كان الإسلام قد أبطل الدوافع الجاهلية لقول الشعر، وخرج عليها، وحرَّم أكثر الأعمال التي يجوَّد فيها الشعر (**كما يدَّعي بعض النقاد**)، وتنشط لأجلها القرائح؛ كوصف شرب الخمر، والتغزل بالمرأة، ووصف محاسنها ومفاتنها، وإثارة الغرائز والشهوات، والفخر الكاذب بالباطل، والتعصب القبلي، والهجاء المقذع الذي يسب الأعراض، والمدح الكاذب المتملق لأجل التكسب بالمال؛ فإنه أنشأ دوافع أخرى جيدة، وأتاح للشعر في هذا العصر مجالات جديدة، كانت كفيلةً أن تجعله يزدهر، ويتحول مساره تحولا جديدًا لم يكن مألوفًا من قبل.

ولم يقف الإسلام ـ كما يبدو لأول وهلة ـ من الشعر موقف العائق المضطهد؛ بل هذبه لخدمة نشر تعاليمه الجديدة،**فقصة عمر بن الخطاب**(τ)**مع النعمان بن عدي بن نضلة** الذي تولى أمر ميسان من أرض البصرة، وقد قال شعرًا ماجنًا في محبوبة له؛ فعنَّفه عمر، وعزله عندما سمع بالأمر؛ لا تعد دليلا على محاربة الإسلام للشعر[27]، وكذلك **الحطيئة** الذي سلح على **"الزبرقان بن بدر"**، وهجاه هجاء مقذعا، فحكَّم **"عمر بن الخطاب"** (τ)**حسان بن ثابت**(τ) في أمره، فحكم عليه بأنه اشتد في الهجاء عليه، فسجنه **عمر بن الخطاب**(τ)، وفي النهاية استتابه، فتاب، بعد أن كتب له شعرا، يستعطفه فيه على أولاده، وهذه القصة أيضا، لا تعد دليلا على محاربة الإسلام للشعر، بل تهذيبه، وتوظيفه فيما هو نافع من أمر الدعوة إلى الفضائل والدين، وتوجيه الشعراء نحو الوجهة الصحيحة في القول والفعل.

وخلاصة القول في عصر صدر الإسلاممن حيث الدائرة والخروج؛ يتمثل في أن شعراء صدر الإسلام جميعهم؛ **التزموا بحدود دائرة البعد الفني**؛ نظرًا لالتزامهم في ذلك الوقت بملامح الشعر العربي التقليدي القديم الملتزم بالوزن والقافية من ناحية الشكل، أما من ناحية المضمون؛ فوجدنا أن الشعر استمد معانيه وأغراضه من طبيعة الدين الجديد الذي غيَّر كثيرًا منها؛ وأقام مقامها أغراضًا ومعاني جديدة، تختلف عنها اختلافًا كبيرًا.

أما البعد الأخلاقي والديني؛ فنجد أن أغلب الشعراء التزموا بهما، وبعضهم الآخر شذّوا عن القاعدة، وخرجوا عنهما، غير أن الالتزام بهما كان ظاهرة في هذا العصر، حيث أبطلت

[27]للمزيد انظر: التيار الإسلامي في شعر عبد الرحمن عشماوي: د. سهيلة زين العابدين حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1425ه/ 2004م، ص 52-53.

تعاليم الإسلام دعاوى الجاهلية ونزعاتها، وثارت على رذائل الأخلاق والأفعال؛ ورفضت من صفات الجاهلية: الطيش والحماقة، وفساد الأخلاق، والربا، والزنا، والتهور، والغضب لأتفه الأسباب، والإغارة، والأخذ بالثأر، ووأد البنات، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وغيرها من الصفات التي ثار عليها الدين الإسلامي، ورفضها، وحاول القضاء عليها باستئصالها من جذور المجتمع.

وهذا يؤكد لنا أن هناك من الشعراء في عصر صدر الإسلام من أحسُّوا مسئوليَّة الكلمة، وجعلوا من أنفسهم جزءًا من واقع أُمَّتِهم، يُهمُّهم ما يهمُّها، ويُحزنهم ما يُحزنها، ويسرُّهم ما يسرها؛ وأصحاب هذا السمو الأخلاقي **يدورون في فلك حدود نطاق الدائرة، وذلك بعد أن وجَّههم الرسول الكريم محمد (ε)والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلى وجهتهم الصحيحة السليمة التي لا بد أن يسيروا عليها).**

ثالثًا: مظاهر الحداثة الفكرية والشعرية في العصر الأموي بين الدائرة والخروج: إن **مبدأ الحداثة يقوم على الصراع بين الماضي والحاضر**، وقد بدأت هذه الفكرة تظهر تاريخيًا في عالمنا العربي والإسلامي منذ **العصر الأموي**، وتمثَّل ذلك في حركة التأويل، حيث اصطدم المسلمون من العرب بواقع الحضارات الأخرى، وقد كان هناك تياران أولهما: **سياسي فكري، والثاني فني.** [28]

فالملوك والأمراء حثوا على قول الشعر، وشجعوا عليه بمنح العطايا والهدايا، وتغيرت الخصائص الفكرية، وعادت العصبية القبلية، وتعددت الروايات الدينية، والأدبية، والتاريخية، وازدهرت حركة التأليف عند العرب، واستفادوا من الفرس، وأيضا ظهر التنافس على الحكم بين أهل السنة والشيعة، والخوارج، والمرجئة، وظهر **جيل المولدين** نتيجة انصهار العرب بغيرهم من المسلمين غير العرب، وبرزت المساجلات الأدبية، والدينية، والسياسية الممتزجة بالثقافات الأخرى من يونانية، وفارسية، ورومية، وغيرها، فالفتوحات الإسلامية الهائلة في ذلك العصر؛ تعد بحق أكبر التوسعات في تاريخ العرب والمسلمين؛ حيث أهلتهم للانفتاح على العالم أجمع[29].

فأصبح أهم ما يميز الأدب في عصر صدر الإسلام، أنه أدبٌ للحياة، أما **الأدب في العصر الأموي**، فصار أدبا للأدب، وهذا يعد من أسباب قوة الأدب في ذلك العصر، وكذلك اختلفت طبيعة مزاج الحكام؛ حيث وجَّهوا إلى تعلُّم الشعر الذي يدعو إلى الفضائل ومكارم الأخلاق، غير أنهم لم يلزموا الشعراء بتعاليم الدين في ذلك العصر، ماعدا **"عمر بن عبد العزيز"**(τ)؛ فقد حكَّم الدين في كل شيء، فنفى **الأحوصوعمر بن أبي ربيعة** لقولهما شعرًا ماجنًا، يوصف بأنه الشر الخبيث [30].

---

[28]للمزيد انظر: الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب، صدمة الحداثة: أدونيس، الجزء الثالث، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1978م، ص 9-15.

[29]للمزيد انظر: العصر العباسي الأول، والعصر العباسي الثاني: د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، مصر، د ت، ص169- 214.

[30]للمزيد انظر: التيار الإسلامي في شعر عبد الرحمن عشماوي: د. سهيلة زين العابدين حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1425ه/ 2004م، ص 52-53.

وكذلك يعد **"الفرزدق"** مثلا على الشعراء الذين يتفحشون في القول، ولا يحتشمون في الفعل، ويستبهرون بالقبائح حتى أمام الحكام [31]، فالحاكم في صدر الإسلام كان رجل دين أولا، ودولة ثانيا، أما في العصر الأموي فرجل دولة أولا وأخيرا، وكذلك انتشرت النقائض، وشعر الغزل، وأشعل الحكام الفتن، من باب **"فرق تسد"**، وتحولت مجالس الخلفاء لمجالس الأدب والنقد [32]،كل هذا أدى إلى قفزة نوعية جديدة للشعر والأدب، وتحولا ملموسا في مسار الشعر العربي، وحداثة شعرية جديدة**(وهذا يصب في نطاق الخروج عن الدائرة)**.

وخلاصة القول في العصر الأمويمن حيث الدائرة والخروج؛ يتمثل في أن شعراء **العصر الأموي** جميعهم؛ التزموا **بحدود دائرة البعد الفني؛** نظرًا لالتزامهم في ذلك الوقت بملامح الشعر العربي **التقليدي القديم الملتزم بالوزن والقافية** من ناحية الشكل، **أما من ناحية المضمون؛** فوجدنا أن الشعر استمد معانيه وأغراضه من طبيعة **المسلمين المولدين الجدد** الذين دخلوا الدين الجديد، وهذا غيَّر كثيرًا منها؛ وأقام مقامها أغراضًا ومعاني جديدة، تختلف عنها اختلافًا كبيرًا؛ فظهر لنا شعر النقائض برواده المعروفين: جرير، والفرزدق، والأخطل، والبعيث، والراعي النميري.

أما البعد الأخلاقي والديني؛ فنجد أن أغلب الشعراء التزموا بهما، وبعضهم الآخر شذَّ عن القاعدة، وخرجوا عنهما، غير أن الالتزام بهما، لم يكن ملزما من قبل الخلفاء والأمراء، **وذلك بعد أن وجَّه حكام بني أمية إلى تعلُّم الشعر الذي يدعو إلى الفضائل ومكارم الأخلاق، لكنهم لم يلزموا أحدا، كما ذكرنا آنفا** ماعدا **"عمر بن عبد العزيز"(τ) الذي حكَّم الدين في كل شيء)**.

وعندما نرصد **الخروج في ذلك العصر، نجد أن الشعر في العصر الأمويّ** قد ازدهر، واتسعت مواضيعه، وتطوّرت أساليبه، وأصبحت معانيه وألفاظه أكثر رقّة ولطفا ومواكبة مع حالة العصر الجديد، وزادت المظاهر السياسية، والدينية، والثقافية[33]؛ ومن ثم سعى بعض الشعراء إلى البحث عن المجد والثروة، والتخلي عن القناعات الشخصية؛ نظير التشجيع والحماية والعطايا من العائلة الحاكمة أومن الأحزاب المعارضة، وانحصرت بذلك وظيفة الشعر خلال هذا العصر في التعبير عن المعايير السياسية والثقافية السائدة، وهذا جعلها تنحصر في خدمة المصالح الحزبية أو الفردية الضيقة، بعيدًا عن التحليق في أجواء الفن الطليق[34]**(وهذا يعد خروجا عن نطاق الدائرة،** حيث **وجَّه الشعراء الشعر وجهة أخرى**

---

[31]للمزيد انظر:الموقف الإسلامي والخلقي للنقاد العرب من بعض شعراء السفه: د. وليد قصاب، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث والسبعون، مارس 1214م، ص 29-30.

[32]للمزيد انظر: خط سير الأدب: د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1411ه/1990م، ص 22 -23.

[33]للمزيد انظر: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية (كتاب الشعر): د. مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1973م، ص105.

[34] للمزيد انظر: تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، دار اليوسف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص23.

غير التي نشأ من أجلها، وهذا يعد من قبيل الخروج عن المألوف في ذلك العصر، ومظهرا من مظاهر الحداثة الشعرية في العصر الأموي).

رابعا: مظاهر الحداثة الفكرية والشعرية في العصر العباسي بين الدائرة والخروج: جاء العصر العباسي، وظهر في الشعر شيخ الحداثيين في ذلك العصر؛ وهو **"بشار بن برد"**، فهو أستاذهم وسيدهم؛ لأنه سلك طريقا، تفرَّد به على أقرانه، وكذلك **"أبو نواس"**، [35]**و"أبو تمام"،وصالح بن عبد القدوس**، فقد وُصِفَ نتاج هؤلاء بالمحدثين، فَعُدَّ ابتداعهم، وحداثتهم خروجا على المألوف، وعلى ما هو ثابت، وذلك بمخالفتهم كل ما هو قديم. [36]

ومن هذا المنطلق؛ تتولد الحداثة على مدار تاريخ الأدب من تصادم بين موقفين، أو عقليتين أو فكرين، أو حضارتين، و**الخروج** على ما يكون سائدًا حينئذ، غير أننا نجد دائمًا من يتعاطف مع الجديد، على الرغم من رفضه أولا، والصد عنه، ومقاومته المستمرة، لكنه في النهاية يُسلِّم به، ويقره رغمًا عن المقاومين الذين يقفون كحائط صد، وكعائق أمام كل جديد، فنجد مثلا، تعاطف**"ابن رشيق القيرواني"** مع المحدثين، وكذلك تعاطف شيخنا (**أبو العباس المبرد في كتابه الكامل**) مع المحدثين، عندما يقول: **"ليس لقدم العهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يعطى كل ما يستحق**". [37]

ازداد العصر العباسي قوة بهذه **الحداثة الفكرية والشعرية الجديدة**؛ فكان يمثل الحلقة الذهبية في سلسلة تاريخ الشعر العربي على الإطلاق، فبعد أن انتهت الفتوحات، واستقرت الدولة الإسلامية؛ بدأ علماء المسلمين يُقَعِّدون للعلوم المختلفة، وتبعتها وفرة في المؤلفات والمصنفات في شتى المعارف والعلوم، ومنها العلوم اللغوية: كعلوم النحو، والصرف، والعروض، وغيرها[38]؛وكذلك **شاعت الحرية الفكرية والاعتقادية**، وظهرت مؤلفات تناقش **قضايا فكرية ونقدية** متعددة، تجسد تلك الصحوة العلمية والحداثة الفكرية الهائلة؛ وقد ظهر ذلك جليا عندما امتزجت الثقافات الأجنبية المختلفة بالثقافة العربية عن طريق الترجمة: سريانية، وفارسية، وهندية، ويونانية، وتحول الأدب من ثقافة عربية إسلامية خالصة إلى ثقافة عالمية إنشائية؛ غزت كل التخصصات المختلفة في شتى مناحي الحياة [39].

وخلاصة القول في العصر العباسي من حيث الدائرة والخروج؛ يتمثل في أن **العقلية العربية في العصر العباسي** أطاحت ببعض القيم والتقاليد الموروثة، وحدثت نهضة فكرية وشعرية عظيمة(**تعد من قبيل الحداثة والخروج عن المألوف في ذلك العصر**) غير أنها **أبقت على بعض قيم الإسلام ومبادئه النافعة** المتمثلة في البعدين: (**الديني والأخلاقي**) للعصرين

---

[35]للمزيد انظر:الموقف الإسلامي والخلقي للنقاد العرب من بعض شعراء السفه: د. وليد قصاب، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث والسبعون، مارس 1214م، ص 31-32.

[36]للمزيد انظر: قراءة التراث النقدي: د. جابر عصفور، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص 117

[37]الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس المبرد، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الجزء الأول، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1999م، ص 79.

[38]للمزيد انظر: الحضارة الإسلامية: د. عطية القوصي، دار الثقافة العربية، القاهرة ،1985م، ص 143 :193

[39]للمزيد انظر: النقد العربي القديم: د. مجد محمد الباكير البرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1407ه/1987م، ص171 - 187.

السابقين له: **عصر صدر الإسلام والعصر الأموي**، ولم تنسفها كلية، ومن ثم دارت في حدود **الدائرة**، غير أن الانفتاح على عقليات العالم وأفكار البلدان والمجتمعات المفتوحة التي دخلت الإسلام، جعل هذا العصر بحق **الحلقة الذهبية في سلسلة تاريخ الفكر والشعر العربيين**، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا والغرب يعيشون في ظلام الجهل والتخلف.[40]

أما من ناحية البعد الفني؛ فإن بعض شعراء **العصر العباسي**؛ لم يلتزموا بحدود دائرة البعد الفني؛ فقد ظهر **أدبالمولدين المحدث المهجن**، على يد **"بشار" و"أبي نواس" و"ابن الرومي" و"أبي العتاهية"**؛ وغيرهم من الشعراء العمالقة في ذلك العصر، وبرزت فنون جديدة، كما تنوعت الأغراض المعبرة عن اللهو والمجون والخمريات والغزل بالمذكر، واستحدثت الكثير من **الأغراض التي تمثل الخروج عن الدائرة**؛ وعلى النقيض من ذلك ظهر شعر الزهد والتصوف، وذلك نظرا لأن لكل فعل رد فعل، يساوي له في المقدار، ويضاد له في الاتجاه [41]. ومثَّل **أبو تمام شعر الصنعة، فخرج عن المألوف**، وسار **البحتري على عمود الشعر العربي**، فسمي **بشاعر الطبعية**، فكان في **حدود ما يسمى بالدائرة)**

خامسًا: مظاهر الحداثة الفكرية والشعرية في عصر الدويلات المتتابعة بين الدائرة والخروج: انفرط عقد الدولة العباسية؛ وضعفت أركانها، نظرًا لوجود بعض الاضطرابات والتقلبات السياسية والاجتماعية في **القرن الرابع الهجري**، وما بعده، وقامت الدويلات الصغيرة المتتابعة بعد تفكك الدولة العباسية، وظهر الصراع بمحاولة استلال أثواب السيادة منها، وقطع أطناب الولاء لها[42]؛ **فقامت دويلات عدة**: في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وكذلك في حلب متمثلة في الدولة الحمدانية، وفي مصر متمثلة في الدولة الإخشيدية، وفي المغرب، وفي الرباط، وفي فاس، وفي القيروان، وفي الأندلس، وفي تلمسان، **فلم تعد بغداد وحدها هي العاصمة الوحيدة**، ولا البيئة الأدبية المفردة، وعلى الرغم من ذلك؛ احتفظت تلك الدويلات المتعددة بقوة الأدب والشعر، وشجع أمراء تلك الدويلات على قوله، وأجزلوا للشعراء العطايا[43].

وخلاصة القول في عصر الدويلات المتتابعة بين الدائرة والخروج؛ يتمثل في أن الشعراء سعوا إلى البحث عن المجد والثروة مرة أخرى، والتخلي عن القناعات الشخصية؛ نظير التشجيع والحماية والعطايا من الأمراء والحكام، **فخرجوا بذلك عن نطاق الدائرة، وذلك بعد أن وجَّهوا الشعر وجهة أخرى غير التي نشأ من أجلها، وهذا يعد من قبيل الخروج عن المألوف في ذلك العصر**.

---

[40] للمزيد انظر: إشكالية الحداثة بين التأصيل والتغريب: د. محسن سيد يونس عثمان، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد الخامس عشر والسادس عشر، الجزء الأول، سنة 2004م، ص 388 - 394.

[41] للمزيد انظر: خط سير الأدب: د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1411ه/1990م، ص24.

[42] للمزيد انظر: الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، الجزء السابع، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان،1415هـ/1995م، ص 75 وما بعدها.

[43] للمزيد انظر: خط سير الأدب: د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1411ه/1990م، ص24

ومن بين شعراء **الخروج** هؤلاء **"المتنبي"؛ ذلك الشاعر الذي أثار ظهوره جدلا كبيرا في جميع الأوساط الأدبية والنقدية في عصره، ولا نبالغ إذا قلنا حتى الآن،** فقد بالغ كثيرا في التطاول على الدين، وأظهر الكثير منالجرأة والإفراط والغلو والتجاوزعلى الله والعقيدة، والأنبياء والصالحين(44)، وعلى الرغم من خروجه السافر هذا؛نجد**"ابن جني"** يدافع عنه، **وعن حداثته** ضد خصومه؛ ويجسد هذا المعنى **"المتنبي"** بقوله المشهور:**"ابن جني أعلم بشعري مني"**، وكذلك **"عبد القاهر الجرجاني"**دافع عنه ضد خصومه في كتابه **"الوساطة بين المتنبي وخصومه"** (45).

وكذلك عاش **"أبو فراس الحمداني"** بروملياتهالشهيرة مولد تحول الاتجاهات الشعرية، والاضطرابات الفكرية، وتصارع ـ حينئذ ـ تيارا التجديد والتقليد، فكانت الرؤى والاتجاهات تتقلب بين محاولة التجديد، وإلباس القصيدة حلة جديدة من ناحية؛ **(فتكون بذلك خارج الدائرة)**، أومحاولة التقليد التي من خلالها تعود القصيدة إلى النهج القديم من ناحية أخرى (46)؛ **(فتكون بذلك في حدود دائرة البعد الفني)**

وكذلك النقاد ـ **في ذلك العصر** ـ انقسموا بين تقديم شاعر، وتأخير آخر، وصنَّفوا الشعراء بين الأصالة والتقليد، وفق مقاييس **الحداثة والتقليد،** فكان منهم **المحافظ،** ومنهم **المجدد؛** وأفرزت هذه المعركة حامية الوطيس عدة قضايا أدبية ونقدية ـ **لا حصر لها** ـ كالطبع والتكلف، والشكل والمضمون، وغيرها من القضايا النقدية المتعددة؛ ومن ثم كانت الحداثة الشعرية والفكرية ـ عندهم ـ **ظاهرة ضرورية للتحولمن القديم إلى الجديد، ومن الدائرة إلى الخروج.** (47).

سادسًا: مظاهر الحداثة الفكرية والشعرية في العصر الأندلسي بين الدائرة والخروج:

يقاس مقدار التقدم والازدهار في عصر من العصور بمقدار ما أنتجه ذلك العصر من مؤلفات تمثل أهم منجزاته الفكرية، فقد بنت العقلية العربية الأندلسية حداثتها على أساس الدمج **بين التقليدية المفرطة والتحرر والانطلاق** (48)، وكذلك **الإفادة من منجزات العقلية العربية والأجنبية المتمازجة.**

فالشعر الأندلسي ظهر في ظروف جديدة لا مثيل لها في المشرق العربي، حيث الطبيعة الأندلسية الخلابة الساحرة، وكذلك التّكوين الثقافي السّكاني المتنوّع، إذ نرى العرب يختلطون

---

(44)للمزيد انظر:الموقف الإسلامي والخلقي للنقاد العرب من بعض شعراء السفه: د. وليد قصاب، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث والسبعون، مارس 1214م، ص 33-37.

(45)للمزيد انظر: الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب، صدمة الحداثة: أدونيس، الجزء الثالث، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1978م، ص 9-15.

(46) للمزيد انظر: القصيدة في عصر أبي فراس الحمداني: د. عبد الله التطاوي، بحث ضمن كتاب دورة أبي فراس الحمداني، مؤسسة عبد العزيز البابطين للشعر العربي، الطبعة الأولى، 2002م ص 79 وما بعدها.

(47)للمزيد انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر، الأردن، 1986م. ص 113ومابعدها.

(48)للمزيد انظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: د. أحمد هيكل، دار المعارف، الطبعة الحادية عشرة، سنة 1994م، ص52- 54.

مع أجناس لاتينيَّة، وقوطيّة، وبربريَّة، وكذلك تنضمّ الأديان السماوية الثلاثة: الإسلام، واليهودية، والمسيحيَّة، وتُستخدم اللغة العربية إلى جانب الأمازيغية، والأسبانية، والكتلانية؛ فينشأ ـ نتيجة ذلك التعايش بين هذه الأديان والأجناس والثقافات واللغات المتنوّعة ـ جوٌّ خاصٌ، وحضارةٌ فذَّة ورائعة [49].

أما من ناحية **التقليدية المفرطة؛** فنجدها تتمثل في تقليد المشرق العربي في كل منجزاته العقلية، بل محاولة التفوق عليه،للتغلب على عقدة النقص التي أصابتهم؛ نظرا لبعدهم المكاني عن بلاد المشرق العربي،وعلى الرغم من البعد المكاني لبلاد الأندلس، كانت قريبة من أحضان المشرق العربي روحيا وفكريا وعقديا، لدرجة أنه لو ظنَّ ذباب في المشرق العربي لسجلته أيادي أهل المغرب العربي [50]، وظهر ذلك جليا في تسميتهم الشعراء والأدباء والعلماء الأندلسيين بأسماء مشاهير أهل المشرق العربي وأعلامهم [51].

وخلاصة القول في العصر الأندلسي بين الدائرة والخروج؛ يتمثل فيأنه على الرغم من ذلك التحرر والانطلاق الذي أحدث نهضة فكرية، وتطورا، وازدهارا، وتحديثا في شتى مناحي الحياة، **أبقت العقلية العربية الأندلسيةعلى قيم الإسلاموميادئه النافعة** المتمثلة في العصور السابقة، ولم تنسفها كلية، وانساق الأندلسيون وراء أهل المشرق العربي في **أغراض الشعر التقليدية**، كما في الوصف، ورثاء الممالك، والشكوى، والاستنجاد، وغيرها من الأغراض المتعددة **(وهذا يعد من قبيل السير في حدود الدائرة)**.

غير أن الشعراء سعوا ـ **في ذلك العصر** ـ سعيا حثيثا إلى التجديد الذي تمثَّل في تلك **الموشحات الأندلسية** التي تعد أهم التحولات الشعرية على مدار تاريخ الأدب العربي، كما تعد مظهرا من مظاهر الحداثة الشعرية، **وهي بذلك تمثل نطاق الخروج عن المألوف، والبعد عن حدود الدائرة**،ومن أشهر الشعراء والوشاحين؛ نجد **"أبا البقاء الرُّندي"، و"ابن حمديس"، و"لسان الدين الخطيب"، و"ولّادة بنت المستكفي"، و"عبادة بن ماء السماء"، و"ابن خفاجة"، و"المعتمد بن عبّاد"**، وغيرهم الكثير.

سابعًا: مظاهر الحداثة الفكرية والشعرية في العصرين المملوكي والعثماني بين الدائرة والخروج: ضَعُفَ العرب والمسلمون، وتكالبت علينا الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها، فكان **"التتار"** نقمة على الحضارة الإنسانية؛ وذلك عندما **أحلوا قومنا دار البوار**، وأضعفوهم بفعلتهم الشنعاء، عندما ألقوا بالكتب في نهر دجلة؛ وعبروا عليها بسنابك خيولهم، حتى اسودت مياهه، وأسهم كذلك معهم **"الصليبيون"** في إضعافنا فكريا وثقافيا وأدبيا.

وقد ظهرت بوادر هذا الضعف في **"العصرين المملوكي والعثماني"**، وتراجعت الحضارة الإسلامية، في الوقت الذي تعاظم فيه دور الحضارة الأوربية، بعد أن ترجمت مؤلفات العلماء العرب والمسلمين إلى لغاتهم؛ فكانت الحضارة العربية بالنسبة للحضارة

---

[49] للمزيد انظر: الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه): د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، بيروت 1986م، ص 80 - 81.

[50] للمزيد انظر: في الأدب العربي القديم (العصر الأندلسي والعباسي): د. محمد الشنطي، الطبعة الثانية،1416 هـ/ 1997م، ص 203.

[51] للمزيد انظر: طرفة الأندلس، أبو جعفر بن سعيد العنسي (رؤية نقدية): د. جلال صبري حجازي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد السابع عشر، الجزء الأول 1419هـ/ 1999م، ص 546-547.

الغربية الأساس الذي بنت عليه أوروبا الحديثة نهضتها، والمنصفون من الغرب يعترفون بذلك.

وعلى الرغم من ذلك الضعف؛ شجع السلاطين والحكام على **العلم والأدب**؛ وانتشرت الموسوعات الأدبية والعلمية، **كصبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري**، وغيرها من الموسوعات التي قامت بمحاولات التجميع لما أوشك على الضياع من هذه العلوم المختلفة؛ فوجد العلماء والأدباء ملاذهم الآمن في القاهرة؛ فهربوا من آتون بلادهم؛ وفروا إليها؛ ليواصلوا رسالتهم السامية في هذه الحياة المليئة بالمتناقضات [52].

انتهى **العصر المملوكي**، ثم **جاء العصر العثماني**، وماتت اللغة العربية، وحلت محلها اللغة التركية، فجعلوها اللغة الرسمية، فلا تنتظر أدبًا حيًا من لغة كادت أن تموت، فكما شنق السلطان **"سليم الأول" "طومان باي"** على باب زويلة؛ شنقت معه اللغة العربية، فقد أغلقت دواوين الإنشاء، وسرحت موظفيها، ونقلت الحضارة والتراث العربي والإسلامي والعلوم والفنون إلى تركيا، ولم يتركوا إلا الزراعيين والعمال والحرفيين وأصحاب المهن الدنيا [53]، غير أن الله ـ على الرغم مما حدث ـ حفظ لغة كتابه الكريم بحفظه وعنايته؛ فقيض لها من يبعثها من جديد بعد ذلك، ويدافع عنها في العصر الحديث.

وخلاصة القول في العصرين المملوكي والعثماني بين الدائرة والخروج؛ يتمثل فيأن القصيدة العربية في هذه الأجواء الضعيفة اعتمدت على القوالب التراثية التقليدية، **(فكان هذا في حدود الدائرة)** أما من ناحية **الخروج** عن المألوف؛ فسنجد نشأة **الشعر البديعي** الذي يخلو من المعنى، ولكن يمتاز بتركيبة بديعية عالية، ونزح الشعراء عن الحياة، ولجأ الأغلب إلى **الشعر الصوفي**، وكثرت **المدائح النبوية، والمراثي، والملاحم، والقصص الشعرية الركيكة**، وكذلك نشأ **التأريخ بالشعر**، واعتمدت القصيدة على ثلاث وحدات؛ هي: **الوحدة المنطقيّة، والوحدة الموضوعية، والوحدة الوجدانية**، ومن أشهر شعراء العصر العثماني الذين جددوا وخرجوا عن المألوف السابق؛ نذكر:**(صفي الدين الحلي، وابن معتوق، وعبد الغني النابلسي، ومنجك اليوسفي، ويوسف البديعي، والبهاء العاملي، والتهانوي، وبدر الدِّين الغزي)**[54]

ثامنا:مظاهر الحداثة الفكرية والشعرية في العصر الحديثبين الدائرة والخروج: يؤرخ للعصر الحديث بمجيء الحملة الفرنسية على مصر بقيادة **"نابليون بونابرت"** سنة **(ألف وسبعمائة وثمان وتسعين ميلادية)**، وذلك عندما أتت فرنسا بجيوشها، ومعها أيضا جيوش من المفكرين والعلماء، فأتى معها **(عالم الآثار) "والأديب والشاعر** والطبيب و الفيلسوف، ورجل الصناعة، والفن، والاختراع؛ وعندما جلس **"محمد علي"** على عرش مصر سنة **(ألف وثمانمائة وخمس ميلادية)**، واصل مسيرة الإصلاح والنهوض، وذلك عندما أراد أن

---

[52]للمزيد انظر: خط سير الأدب: د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1411ه/ 1990م، ص26.

[53]للمزيد انظر: السابق نفسه، ص 28.

[54]للمزيد انظر: الموجز في الشعر العربي، دراسة في العصور المختلفة للشعر العربي: د. فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية الكيلاني، مراجعة وتقديم د. شوقي ضيف، منشورات مطبعة أوفيست الميناء، 1985م، ص356-410.

يكون **الاحتكاك بالغربشديدًا مثمرًا"**[55]؛ فأرسل البعثات التي كانت بذرة للنهضة في عهده، وبنى نهضته على تراثنا وقوتنا الفكرية والروحية، وأكمل من جاء بعده من أسرته الحاكمة مسيرة النهضة والتقدم، وانفتحوا على الغرب كذلك بحضارته الحديثة.

فأصبح لدينا وفرة هائلة من العلوم والفنون الحديثة، فظهر جنبًا إلى جنب كل أنواع الشعر الغنائي منه والدرامي والملحمي، وكذلك النثر بأنواعه كافة من قصة، وأقصوصة، ومسرح، ورواية، ومقالة، وحديث إذاعي، ورسالة، وخطبة، وخاطرة، ومقامة، وسيرة ذاتية، وغيرها من أنواع النثر الفني [56]، كما ظهر أساطين النهضة الحديثة كالطهطاوي، والأفغاني، ومحمد عبده، والكواكبي، والنديم، ومارون النقاش، وغيرهم.

وخلاصة القول في العصر الحديث بين الدائرة والخروج؛ يتمثل في أننا عندما نُنَظِّر للحداثة الشعرية العربية في وقتنا الراهن، ونرصد موقف الشعراء الحداثيين بين **الدائرة** و**الخروج** من التقاليد الشعرية الموروثة شكلا ومضمونا، فسنجد أن أغلبهم يشتركون في **الثورة على الشكل**؛ ومن ثم وجدنا وفرة هائلة في تنوع أشكال القصيدة [57]، غير أن الذي اختلفوا فيه هو **المضمون**، ويكون ذلك إما بالمحافظة عليه، والتمسك بالقيم والتقاليد الموروثة، أو بالثورة عليه، والتطاول على الثوابت، والتمرد على القيم السائدة، وقد **انقسموا في ذلك إلى نوعين**:

أما النوع الأول من شعراء الحداثة، وهم (الداخلون في فلك حدود الدائرة) وهؤلاء يمثلهم الشعراء الذين لم تتعد حداثتهم حداثة الشكل فقط، فقد حافظ أصحابه على القيم والمفاهيم والعادات والتقاليد الفكرية الصحيحة الثابتة الموروثة من أصولنا العربية والإسلامية، **وإن كان هذا الالتزام بحدود الدائرة**؛ قد تم بدرجات متفاوتة، تختلف من شاعر إلى آخر، وقد انقسموا في ذلك إلى فريقين: **الأول منهم** زاوج في كتابته الشعرية بين الشكلين: **(التقليدي والحداثي)، أما الفريق الثاني** فكتبوا القصيدة الحداثية متمثلة في **"شعر التفعيلة"** و**"قصيدة النثر"** فقط دون سواهما، وخرجوا تماما عن النوع التقليدي.

المهم في الأمر أنهم عبّروا بأشكالهم الشعرية الحداثية عن العصر وقضايا المجتمع الإسلامي، ولم ينفصلوا عن ذلك المجتمع لحظة ما في حياتهم، ولم يتنكروا له، بل عايشوا مجتمعاتهم، وحاولوا التغيير واستثارة الهمم؛ **للخروج من هذا المأزق** الذي تعيشه مجتمعاتنا

---

[55]للمزيد انظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت، ص11.

[56]للمزيد انظر: خط سير الادب: د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1411 ه/1990م، ص 28 –30.

[57]**من أشكال شعر الحداثة**: ذلك النوع الذي يسمى **بشعر التفعيلة** بمختلف أشكاله وصوره، أو ما يسمى **بقصيدة النثر** التي دار حولها لغط كبير ـ وسوف نفرد لها بحثا خاصا ـ يثير أوجه الخلاف حول هذه القضية، ونوضح فيه مدى شرعيتها وقبولها والتأصيل لها، ونبين فيه كذلك: لماذا تم رفضها بمختلف أنواعها من قبل بعض النقاد الذين يتهمونها في شرعيتها، ويقولون بأنها لقيطة ودخيلة على أدبنا العربي، ووجهة نظرهم تقول إذا كنا نقبل على مضض **شعر التفعيلة**؛ فذلك لأنه على صلة ما بالتراث والوزن الشعري، أما **قصيدة النثر** فهي من وجهة نظرهم منبتة الصلة عن التراث، مع أن هذا الكلام مغلوط، وهي أصيلة في تراثنا العربي القديم؛ تحدث عنها ،ونظَّر لها ـ ولكن ليس بمسماها الحديث ـ أبو حيان التوحيدي، وسوف نفرد حديثا مطولا حولها فيما بعد.

العربية والإسلامية هذه الأيام، وذلك بمحاولة اللحاق بركب التقدم والازدهار العالميين؛ كي لا نقبع في مجاهل التاريخ غير فاعلين، لا يلتفت إلينا أحد.

ومن هؤلاء الشعراء الملتزمين حدود الدائرة من ناحية **البعدين (الديني والأخلاقي)**، غير أنهم خرجوا عن حدود (**البعد الفني**): **"صابر عبد الدايم" و"حسين علي محمد" و"محمد جاهين بدوي"، و"أحمد محمود مبارك"**، و**"حسن الأمراني"، و"أحمد فضل شبلول"، و"عبد الرحمن العشماوي"، و"محمد الثبيتي"، و"محمد علي الرباوي"، و"عبد الله البردوني" ، و"فاروق شوشة"،و"داود موسى داود المعلا "، و"محمد الحسناوي"، و" عماد الدين خليل"، و" عبد القادر أحمد الحداد"، و"محمد بن عمارة"، و"مأمون فريز جرار"**، و**"طه حسين سالم"، و"عبد الله بن ناصر العويد"، و"عبد العظيم فوزي"، و "محمود شرف"، و"محمد رشيد سوسان"، و"محسن عبد المعطي"، و"ليلى العوير"، و"إيمان بكري"، و"خالد علي مصطفى"، و"نشأت المصري"، و"جميل محمود عبد الرحمن"، و"عزت الطيري"،و "محمود ممتاز الهواري"، و"درويش الأسيوطي"، و"محمد فؤاد محمد علي"، و"يوسف حسن نوفل"، و"عبد المنعم عواد يوسف"، و"كمال عمار"، و"فوزي خضر"، و"محمد حسن علي"، و"مصطفى رجب"، و"محمد رضا محرم"، و"حزام العتيبى"**، وغيرهم الكثير من شعرائنا العرب الغيورين على أصولهم وثوابتهم العربية والإسلامية، غير أنهم صاغوا قصائدهم في شكل حداثي.

أما <u>النوع الثاني من شعراء الحداثة: وهم (الخارجون عن حدود الدائرة في مضامين قصائدهم) فهؤلاء يمثلهم الشعراء الذين تطاولوا على الثوابت والقيم والمفاهيم والتقاليد الثابتة</u> في فكرنا وتراثنا العربي والإسلامي، وهؤلاء الشعراء قد غالوا في الأمر، وظنوا أن التجديد دعوة إلى التطاول على الدين، وأنه ليس هناك ثوابت محظور أن نقترب منها؛ كثوابت العقيدة وأصول العبادات ـ مثلا ـ وظنوا خطأ أيضا أن معالم الحرية؛ تعني الانطلاق بالفكر نحو عوالم لا حدود لها، والتطاول حتى على المعتقدات والأصول والثوابت الراسخة في الأذهان، وتغافلوا أيضا أن هناك حرية مسئولة؛ تحقق نوعًا من التوازن في الإبداع بين ما هو ممكن، وما هو مستحيل الخوض فيه.

إن أولئك الذين يحاولون مجاراة الغرب وتقليد المضامين الفكرية الغربية بالتهجم على الثوابت، والتجرؤ على العقيدة الدينية بحجة الحرية، يمثلون **الخروج عن الدائرة**، وهؤلاء قد فتحوا النار على غيرهم من الشعراء المعتدلين المتوازنين الذين لم تتعد حداثتهم **حداثة الشكل الشعري** فقط، وعندما نطبق مقاييس جودة الشعر ورداءته على شعرهم؛ يكون شعرهم ـ بهذا الطرح ـ **ممسوخًا مقلدًا**، لا روح فيه، ولا سمت يميزه؛ لأنه فرَّغ في هذا الشكل الحداثي مضامين غير هادفة مستوردة من تراث آخر ومجتمع آخر، وطبيعة فكرية أخرى، فتكون قصائدهم بذلك كلمات مرصوصة أو متناثرة، لا معنى لها، يكتنفها الغموض، وتغلفها التعمية، ولا تتعدى كونها مجرد هذيان لا فائدة منه، ولا نفع من ورائه، ولا قيمة له، وإن كان هذا **الخروج** قد تم بدرجات متفاوتة، تختلف من شاعر إلى آخر.

ومن هؤلاء الشعراء الخارجين عن حدود الدائرة شكلا ومضمونا: "أدونيس"،و"نازك الملائكة"، و"نزار قباني"، و"بدر شاكر السيّاب"،و"صلاح عبدالصبور"،و"عبد الوهاب البياتي"،و" يوسف الخال"، و"جبرا إبراهيم جبرا"،و"توفيق الصائغ"،و"سعدي يوسف" ،و"مظفر النواب"،و"توفيق زياد"،و"أحمد دحبور"، و"محمد علي شمس الدين"،و"سميح القاسم"، و"معين بسيسو"،و" محمد الفيتوري"

، و"محمد الماغوط"، و"محمود درويش"، و"أنسي الحاج" ،و" بدوي الجبل" ،و"عبد العزيز المقالح"، و"القروي"،و"فاطمة البديوي"،و"وجيه البارودي"، و" ملحم خالد ملحم"،و"عصام الغازي"، وغيرهم الكثير من شعرائنا العرب الذين خرجوا عن حدود **الدائرة** من ناحيتي: **الشكل والمضمون**.

تعد هذه **التوطئة للأفكار السائدة ـ على مدار تاريخ الأدب العربي كله** ـ محاولة اكتشاف جديدة **للنظرية الأدبية المعاصرة**؛ من منطلق النظرة التكاملية الشاملة لتلك الفترة الحضارية من عمر الزمان، وكذلك تعد محاولة جادة في فهم الظواهر الأدبية ووصفها وتقييمها وتقويمها، على أساس أن كل **الأبعاد الفنية والموضوعية** مجتمعة في ثنايا **شِعْرِ الْحَدَاثَةِ على مر التاريخ**؛ تسهم في تشكيل معالم هذا الشعر، وطرحه طرحًا جديدًا، نخضعه للمقاييس **الموضوعية والفنية** التي تُسلِّم طوعًا أو كرهًا للمنطق والعقل المتوازنين؛ الأمر الذي يتطلب منا ـ **نحن النقاد** ـ إعادة النظر في الأمور التي أطلق عليها المفكرون والمثقفون والعلماء السابقون أحكاما مسبقة، فرضوها علينا، دون الوعي الكلي بحقيقتها؛ وهذا الطرح يعد من أهم **أهداف البحث العلمي**.

(المبحث الثاني)

(إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ عَلَى مُسْتَوَى الْمَوْضُوعِ)

إننا عندما نبحث عن الخلفيات الثقافية والمعرفية المتحكمة في توجيه الشعر ـ على مستوى الموضوع ـ فسنجد أنها كثيرة، ومتنوعة، وكذلك عندما نرصد وجهات النظر والرؤى والمنطلقات الفكرية المتحكمة في توجيه النقد؛ فسنجد أنها متباينة كذلك؛ وهذا التباين في موقف الشعراء والنقاد (على مستوى الموضوع؛ جعل الباحث يرصد كل وجهات النظر حول مدى فاعلية تطبيق المعايير الأخلاقية والاجتماعية والدينية في نقد الشعر.

فالباحث يؤمن منذ البداية بحميمية التفاعل بين **الشكل والمضمون**، فهو لا يريد بدراسته هذه سوى خدمة الأدب والنقد في **موضوعية تامة، وحيادية منقطعة النظير**، فمنهجه منذ البداية، يقوم على العرض والتوصيف لكل الأفكار ووجهات النظر حول هذا الموضوع، ثم يترك الحكم ـ في النهاية ـ للقارئ؛ لكي يستخلص النتائج التي مهد لها؛ وذلك من خلال طرحه للكثير من الأسئلة في بحثه ـ **منذ شروعه فيه** ـ دون أدنى تدخل منه، وفي النهاية يحكم على ما طرحه من وجهة نظره، **مستندًا إلى الأدلة والبراهين**، وهذا هو الجديد في البحث الذي يندرج تحت ما يسمى **بنقد النقد**.

وهذا الأمر يطرح على مسامعنا ـ ونحن نتحدث عن وضع **شعر الحداثة في ميزان الرفض أو القبول ـ على مستوى الموضوع عدة أسئلة، منها**: ما الهدف من وراء كتابة الشعر؟! وما الذي نريده للشعر؟! وهل الشعر فن يراد لذاته؟! أم **هو فن يراد لما يستودع في طياته من قيم شعورية إنسانية نبيلة وكريمة، وقيم تربوية أصيلة معتدلة، ومبادئ دينية عقدية مستقيمة**، وقيم جمالية فنية متعانقة، تثقف الذوق، وتصقل الوجدان، وتسمو بالروح، وتمتع المتلقي، وتنفعه في آن واحد، **فهو بهذه الصورة لا يتعارض مع الخلق النبيل**، إن لم

يكن متعانقًا معه، ومتواصلًا مع كل قيمة إنسانية وأخلاقية وجمالية، من شأنها أن تحيي في النفوس **قيم الحق والخير والجمال** التي هي بغية الفن السامي على مر العصور؟!

أي أنه لابد أن **يكون للأدب قضية يعالجها،** أو موضوع يدور حوله، فالأدب موقف؛ يصاغ عن طريق الألفاظ والتراكيب والصور، وغيرها من عناصر البناء الشعري؛ حتى يصل في النهاية إلى غاية ونفع، أي لابد أن يجمع بين جمالين: **جمال الشكل، وجمال المضمون؛** وهذا يجعل الشعر يرسخ في الأذهان، ويبلغ بمعانيه السامية العقول والأفهام، ويصل بخيالاته القلب والوجدان؛ ومهما يكن من أمر؛ فإن **الأدب الحق الملتزم الجدير بالخلود والبقاء؛** لم يكن يصاغ للمتعة الفنية فقط، بمعنى أنه لم يكن غاية في حد ذاته، يراد منه المتعة الخالية من الفائدة الاجتماعية والبعد الأخلاقي دون سواها، ولذلك كان لابد من أن نخضع شعر الحداثة **لتلك القيم والمعايير الدينية والأخلاقية والاجتماعية** المتباينة على مر العصور قديما وحديثا .

وذلك لأن **"النظر إلى أحد جناحي الأدب وهو الشكل،** وترك الجناح الآخر، وهو **المضمون** كسرٌ للعمل الأدبي، ومنعٌ له من السمو، فهلا يدب الوعي في أذهان نقاد العصر الحديث، ويقلعون عن تلك النظرة الاستبدادية الواحدة، فذلك ما يُرجى، وهو ما يُؤمَّل حتى لا ينحدر الأدب أكثر من ذلك، ويأتي اليوم الذي يفقد فيه الأدب وظيفته بالكلية ومكانته في النفوس وصلته بالحياة وبالكون وبالثقافة"[58]؛ **ومن ثم فإن نشدان الجمال والسعي وراءه لا يمنع من أن يصاحبه الجلال المعنوي والفائدة المضمونية،** إذ يُشَبِّه بعضُ النقاد الأدب بالطائر الذي يكون له جناحان: **هما الجمال والجلال، أو الشكل والمضمون، أو المتعة والمنفعة،** فكما أن الطائر لا يستطيع أن يطير بجناح واحدة فقط، بل بالجناحين معا، **فكذلك الشكل لا يمكنه أن يحلق أو ينطلق إلا إذا كان يسانده جنبا إلى جنب مضمون يكافئه؛** فيسهمان معًا في التحليق في سماء الفن الشعري، وينطلقان معا في فضاءات شعرية مفتوحة؛ تؤكد لأصحاب الموهبة الشعرية أنه لا غنى لأحدهما عن الآخر؛ **فإذا كان الشكل مهمًا، فإن المضمون ليس تكميليًا، أو ثانويًا** [59].

ولما كان الفن حوارًا مستمرًا بين الشاعر والمجتمع؛ كان لا بد من أن يرتبط الجانب الفني بالموضوعي في آن واحد؛ لأنه يخطئ من يظن نجاح نظرية **الفن للفن؛ لأن انسحاب الشاعر من الحياة العامة كفيلٌ بأن يحرمه ذلك الثراء الوجداني والفكري الذي نشأ من احتكاكه بالواقع،** وتفاعل معه بناءً ونقدًا، كما أن فنه المحض يخنق وهج الشعور بآلام الإنسانية وأشواقها الخالدة؛ **وذلك لأن الفن حوارٌ مستمرٌ بين المبدع والمتلقي كذلك؛** ومن ثم فإن دوران الأول في نطاق الغايات الفنية المجردة؛ يؤدي **في الحقيقة** ـ إلى جفوة متبادلة بين كلا الطرفين، وفصام يحس إزاءه الشاعر بأن عمله لا يلقى من الاستجابة ما كان يتوقع، **وبأن جهده لا يقابل سوى بالنكران والجحود، ويفضي هذا الإحساس عادة إلى مزيد من اليأس والسلبية،** وهذا يقضي على طموح المبدع، ويطفئ الجذوة المقدسة في نفسه، وربما

---

[58] للمزيد انظر:مقالات في الأدب والنقد: د. وليد قصاب، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، 1426ه/2006م، ص 17.

[59] للمزيد انظر: من قضايا الأدب الإسلامي: د. وليد قصاب، دار الفكر، دمشق، 1429هـ / 2008م، ص 94.

أفضى ـ **على أحسن الفروض** ـ إلى الإسراف في الاهتمام بالشكل الفني المحض، والمبالغة في صقله على نحو، يسلبه عفوية الإيحاء وحرارة الشعور "[60].

فالانطلاق من قيم الحق والخير والجمالومدى التزام الشعراء بالبعد الأخلاقي ومدى التزامهم بالبعد الديني؛ يمثل ـ من وجهة نظر الباحث ـ حدود الدائرة، أما الخروج عن حدود هذه الأبعاد؛ فإنه يمثل نمطًا مغايرًا، يسلكه الشعراء نحو الخروج عن المألوف وتحطيمه، ومخالفة كل حدود هذه الأبعاد الثلاثة التي يلتزمها الشعراء والنقاد منذ زمن بعيد؛ ومن ثم تكون مناقشة إشكالية شعر الحداثة على مستوى الموضوع ووضعها في ميزاني النقد القديم والحديث لتصنيفه بين الدائرة والخروج خير مدخل لهذا المبحث.

فمن خلال عرض الآراء المتباينة والاستقراء لأقوال النقاد في القضايا المثارة حول **إشكالية شِعْرِ الْحَدَاثَةِ**؛ وجد الباحث أنه لا بد من وضع **الْحَدَاثَةِ** في ميزاني:**(التراثوالمعاصرة)**؛ حتى تتضح للجميع حقيقة تلك الإشكالية التي ملأت الأسماع والصفحات بجدل طويل عقيم، لا نهاية له، ولا طائل من ورائه؛ **(فالتراث)** أساس تُبنَى عليه ثقافتنا، وأفكارنا، وحياتنا، وأدبنا، وفننا، وشعرنا، ونثرنا؛ وغيرها من مظاهر الحياة الفكرية والعقلية؛ وذلك حتى لا نتهم بالتغريب والقطيعة مع تراثنا، فإن الذي ليس له ماض؛ لن يكون له حاضر، ولن يكون له مستقبل، أما **(المعاصرة)** فهي التي تطمح إلى ضرورة مواكبة كل ما تنتجه قرائح الأدباء والشعراء لتطورات العصر ومتغيراته المتلاحقة؛ حتى لا نُتَّهَم بالرجعية والتخلف؛ ومن ثم كان لابد من مناقشة **إشكالية شعر الحداثة على مستوى الموضوع من منظور النقدين(القديم والحديث) وتصنيفها بين الدائرة والخروج؛ ثم الحكم عليها في النهاية سواء بالرفض أو بالقبول.**

<u>أولا: إشكالية شعر الحداثة على مستوى الموضوع من منظور النقد القديم بين الدائرة والخروج:</u>

إن واقع مضامين شعر الحداثة، وموضوعاته، وأغراضه؛ يطرح علينا عدة أسئلة، منها: هل حقًا الشعر نكد، وبابه الشر؟! وهل يقوى الشعر بالخروج عن المألوف وسلوك طريق الشر والدعوة للرزيلة؟! وهل يضعف الشعر بمجرد دخوله في دائرة الأخلاق والقيم النبيلة السامية؟! وهل حقًا يسقط الشعر بسبب خيريته ونفعه؟!

وهنا يأتي السؤال الذي يطرح نفسه ـ كذلك ـ حول مدى تحكم منظومة القيم، والأخلاق، والدين في توجيه الشعر؛ وهو: **ما موقف الناقد إذا كان يقرأ. شعرًا فيه تهجم على بعض القيم الأخلاقية أو المبادئ الدينية؟ هل يمكنه في هذه الحالة التغاضي عن الفن، والنظر إلى هذا التعدي على الثوابت من الدين والعقيدة؟!**

وللإجابة عن كل هذه الأسئلة نقول: إننا قد نعبر عن الخير بالشعر، ويكون تعبيرنا قويًا، فالعبرة ليست بقوة الأدوات التعبيرية لهذا الشاعر أو ذاك، بل بمضمون ما نعبر عنه، وهنا يتسع البون بين النظرية والتطبيق، فنجد نقادًا مثل:(**"الباقلاني"، و"ابن شرف"، و"ابن بسَّام") يحكِّمون الأخلاق في نقدهم للأعمال الأدبية، فالباقلاني ـ مثلًا ـ يعيب معلقة امرئ**

[60]للمزيد انظر: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: د. محمد فتوح أحمد، دار المعارف، 1977 م، صـ409.

القيس من زاوية أخلاقية، ولا يكتفي **"ابن شرف"** بذلك، بل يقول: إن النظرة إلى بعض القصائد من الزاوية الأخلاقية؛ إنما هي من صميم الحكم الفني على الشعر، وتحسُّ لدى **"ابن بسام"** تحرجه من الناحية الأخلاقية في مقاييسه النقدية، وضيقه وتبرمه بكل شعر يشتم منه رائحة الإلحاد، أو استعمال المصطلح الفلسفي. (61)

إن الفصل في **الموضوع** بين الدين والأخلاق من ناحية، والشعر من ناحية أخرى، لم يتضح إلا عند رجل مثل **"الأصمعي"**؛ فهو أول من فجَّر **"قضية قوة الشعر أو ضعفه عندما يميل للخيرية والنفعية "**؛ وذلك عندما قال: **"الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل فيه الخير ضعف، فهذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره".** (62)

فالشعر عند الأصمعي مجاله الشر، فإذا دخلته الخيرية ضعف ولان وتهافت، وقد كان هذا الرأي عند أشد الأخلاقيين تزمتًا، وعللوا ذلك بأن الشعر الذي يدعو للأخلاق يسقط، بسبب ابتذال معانيه بين الناس والعامة، فالالتفاتة صحيحة، غير أن التعليل لم يكن كافيا، فالعلاقة بين الشعر والدين (**أو الشعر والخلق**) اقترنت لدى بعض النقاد بموقف دفاعي عن الشاعر - **دون الشعر** - فإذا عاب بعض النقاد على **أبي تمام** بأنه قليل التدين، لا يؤدي الصلوات في أوقاتها، دافع عنه **الصولي** بأن الدين ليس مقياسًا في الحكم على الشاعر، وإذا عاب بعضهم **"المتنبي"** بأنه مستهترٌ في شعره ببعض الشؤون الدينية، دافع عنه **"القاضي الجرجاني"** - **لا عن شعره** - بأن الشاعر لا يعاب لدينه، ولو كان الأمر كذلك لسقط شعر الجاهليين، وقد كانوا وثنيين، أو لسقط شعر **أبي نواس،** وقد كان شديد التهتك والاستهتار. (63)

وهذا القول السابق ليس صحيحا على إطلاقه، فالباحث يختلف معه، ومع من وافق **"الأصمعي"** فيه؛ وهم: **قدامة بن جعفر"**، و **"عبد القاهر الجرجاني"**، و**"أبو بكر الصولي"**، و **"ابن المعتز"**، و**"ابن أبي عتيق"**، وغيرهم؛ فهؤلاء عندما طرحوا المعيار الأخلاقي أرضًا، ولم يقيموا له وزنًا في العملية النقدية؛ أضاعوا جانبًا مهمًا من الجانبين اللذين يقوم على أساسهما فن الشعر؛ وهو جانب الموضوع، غير أن الباحث يتفق مع ما جاء به **"أبو العلاء المعري"**، فقد كان في مقدمة النقاد الأخلاقيين الذين يقولون بضرورة أن يحتوي الشعر على قيمة ونفع.

وبقليل من التفصيل والموضوعية حول هذه الإشكالية؛ نجد أن **"الجاحظ"** يسهب في كتابه **"البيان والتبيين"** واصفًا **أحسن الكلام** بقوله:" **ما كان قليله يغذيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه،** وكأن الله **عز وجل** ألبسه الجلالة، وغشَّاه من نور الحكمة على حسب نية

---

(61)للمزيد انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني وحتى القرن الثامن الهجري: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، الإصدار الخامس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م، ص 669.

(62)إحكام صنعة الكلام: محمد بن عبد الغفور الكلاعي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1966م، صـ37.

(63)للمزيد انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني وحتى القرن الثامن الهجري: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، الإصدار الخامس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م، ص 669.

صاحبه، وتقوى قائله، **فإذا كان المعنى شريفًا، واللفظ بليغًا،** وكان صحيح الطبع، بعيدًا في الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال، مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فضلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق، **ومنحها من التأييد، مالا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة"**؛[64] وبهذا يرى **"الجاحظ"** أن الكلام لا بد أن يحتوي على المعنى الشريف، واللفظ البليغ؛ ولابد أن تنطلق أفكاره من رؤية موضوعية وفنية في آن واحد.

وكذلك إذا طبقنا مقاييس الكلام الحسن عند النقاد القدماء على **شعر الحداثة** من منظور نقدي قديم؛ فسنجد أن **"أبا حيان التوحيدي" ـ على سبيل المثال ـ** يقول: **أحسن الكلام ما رقَّ لفظه، ولطف معناه،** وتلألأ رونقه، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم، يطمع مشهوده بالسمع، ويمتنع مقصوده على الطابع، حتى إذا رامه مريغ حلَّق، وإذا حلَّق أسفَّ"[65]؛ وبهذا يرى **"أبوحيان التوحيدي"** أن الكلام لا بد أن **يحتوي على المعنى اللطيف واللفظ الرقيق، وأن تنطلق أفكاره من رؤية موضوعية وفنية في آن واحد.**

فنحن ـ **شئنا أم أبينا** ـ أمام فريقين: **الفريق الأول**: "يرى بجلاء أن العلاقة بين الدين والأخلاق من ناحية، والشعر من ناحية أخرى علاقة تواصل واتصال، فالشعر يجب أن يتقيد بروح الدين وبمبادئه وبتعاليمه، بحيث لا يتناول من المعاني إلا ما كان ساميًا، بعيدًا كل البعد عن جميع ألوان الإباحة والمجون والخلاعة، **فالأدب وظيفته أن يعلِّم ويهذِّب، ويصلح، ويرمم، ويرأب الصدع الاجتماعي، ويربي النشء؛ أي أن له وظيفة ونفعًا؛** فوظيفة الأدب الحقة تتمثل في أنه يجب أن يغني نواحي الإنسانية، ويرقي مشاعرها، ويعلي من مداركها، ويوسع أفقها"[66]، وهذا الاتجاه يمثله **"الرسول" ε"، و"عمر بن الخطاب" τ، و"ابن الأنباري"، و"عبد الملك بن مروان"، و"عمر بن عبد العزيز"τ، و" ابن قتيبة"، و"ابن طبا طبا"، و"الثعالبي" وابن عبد البر"، و" أبو عمرو بن العلاء"، و"الفارابي"، و"ابن سينا"، و"ابن رشد"، و" ابن مسكويه"، و"حازم القرطاجني"،** وغيرهم، هذا مع ضرورة الأخذ في الحسبان والتنبيه على ضرورة عدم الوقوع في منزلق خطير، وهو أنه لا ينبغي لنا أن نملي على الفن اتجاهًا بعينه، ولا يجوز لنا أن نوصيه بارتداء لباس الحكمة الرزينة، والوعظ والإرشاد؛ **فللشعر مجاله، وللوعظ والإرشاد مجاله أيضا** .

أما **الفريق الثاني:فيرى أنه لا علاقة بين الشعر من ناحية، والدين والأخلاق والسلوك من ناحية أخرى، فالعلاقة بينهما علاقة انفصام وانقطاع، ب**معنى أن الدين لا علاقة له بتقويم الشعر وتقديره والحكم عليه، كما أن الشاعر له الحق في أن يعبر **ـ كيفما يشاء ـ** عما يختلج في صدره من إحساس، سواء أ وافق الدين أم خالفه؟ فالفن هدفه الأساس لديهم هو

---

(64)البيان والتبين: الجاحظ: تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الأول، القاهرة سنة 1395ه/ 1975مـ الطبعة الرابعة صـ83-84.

(65)الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة سنة 1939ه/ 1944 مـ، صـ377.

(66)المعارك الأدبية: د. أحمد أنور سيد أحمد الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول، طبعة1983م، ص326.

البحث عن الجمال أينما وجد، والتسلية للنفس والمتعة فقط دون المنفعة، وهو مجرد عن الغاية النفعية، وهذا الاتجاه نجده عند بعض اللغويين، **ونقاد الأدب الذين كانوا ينظرون إلى الشعر على أساس أنه شعر، وليس وعظًا إرشاديًا**، ولم يدخلوا في حسابهم وتقديرهم وتقييمهم للشعر تلك المعايير الأخلاقية الكريمة، كما أنهم لم يهتموا بسلوك الشاعر المخالف للأخلاق، كما أنهم لم يحفلوا كذلك بالمقياس الديني، أو مدى مطابقة الشعر للقيم الدينية والمبادئ العقدية، فهم يرون أن الاهتمام كله، لا بد أن ينصبَّ على البعد الفني فقط ـ دون سواه ـ وهذا الفريق يمثله **"الأصمعي"، و"عبد القاهر الجرجاني"، و"قدامه بن جعفر"، و"أبو بكر الصولي"، و"ابن المعتز"**، وغيرهم، مع ضرورة الأخذ في الحسبان كذلك، والتنبيه على أن إغفال جانب الاهتمام بالموضوع والغرض الذي كتبت من أجله القصيدة؛ يعد عيبا خطيرًا؛ حيث إن القصيدة ما سميت بهذا الاسم ـ عند بعض النقاد ـ **إلا لأنها تعبر عن مقصود صاحبها**. (67)

وهذا التباين في موقف القدماء؛ جعل الباحث يرصد كل وجهات النظر حول مدى فاعلية تطبيق المعايير الأخلاقية في نقد الشعر، فوجد أن نماذج شعر **الرعيل الأول**؛ انقسمت إلى **ثلاثة اتجاهات**، فمن الشعراء من التزموا في أشعارهم، بكل ما يأمر به الدين، وينهى عنه؛ فجاءت الأشعار موافقة للعقيدة الإسلامية؛ لأن الشاعر **يُحكِّم الإسلام في شئون حياته، وفي جوارحه، ومنها اللسان، فلا ينطق إلا بما يرضي الله في شعره، وفي غير شعره**، وهكذا كان الشعراء من الصحابة وغيرهم ممن جاءوا بعدهم، **أما الفئة الثانية من الشعراء**؛ فهؤلاء قالوا أشعارًا مختلطة، منها الشعر الملتزم، وغير الملتزم، وهؤلاء يوجد في أشعارهم نزوع إسلامي، وهناك **فئة ثالثة من الشعراء**، قالت شعرًا فيه إلحاد وخروج عن الدين والأخلاق والأعراف الاجتماعية؛ وتلك الفئة موجودة على امتداد التاريخ الأدبي كله (68).

وإذا كانت هذه الأنواع الثلاثة الملتزمة والمنحرفة والخليط قديمًا؛ فإن الشعراء الحداثيين ـ في هذه الأيام ـ كانوا على ذات الشاكلة؛ ولن نبالغ إذا قلنا، إنَّ هذا التقسيم كان موجودًا على مر العصور الأدبية؛ ومن ثم يكون من الظلم البيّن أن تغفل هذه الكتابات النقدية جلَّ الشعراء الحداثيين المتوازنين الذين لم ينفصلوا ـ أبدًا ـ عن تراثهم، وموروثهم، وقضايا أمتهم العربية والإسلامية على مر العصور، ولم تتعد حداثتهم الشكل والبناء الشعري، **فشعراء الحداثة**

---

(67) للمزيد انظر لسان العرب، مادة قصد: الجزء الثالث، ص 354، وما بعدها، حيث قال الجوهري: القَصِيدُ جمع القَصِيدة كسَفِين جمع سفينة: وسمي قصيدًا لأَن قائله احتفل له فنقحه باللفظ الجيّد والمعنى المختار، ولا يتقصَّد، إذا نُقِّحَ وجُوِّدَ وهُذِّبَ؛ وقيل: سمي الشِّعْرُ التامُّ قصيدًا؛ لأَن قائله جعله من باله فَقَصَدَ له قَصْدًا، ولم يَحْتَسِه حَسْيًا على ما خطر بباله وجرى على لسانه، بل رَوَّى فيه خاطره واجتهد في تجويده، ولم يقتَضِبْه اقتضابًا، وقَصَّدَ الشاعرُ وأَقْصَدَ: أَطال وواصل عمل **القصائد، وكذلك يقول** ابن جني: أَصل «ق ص د» ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهودُ والنهوضُ نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أَو جَوْر، هذا أَصله في الحقيقة وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، أَلا ترى أَنك تَقْصِد الجَوْرَ تارة كما تقصد العدل أُخرى؟ فالاعتزام والتوجه شامل لهما جميعا.

(68) الالتزام الإسلامي في الشعر العربي: د. حسن إبراهيم فرج الشرقاوي، مطبعة الحسين الإسلامية، 1996م، صـ142.

المتوازنون؛ يمثلون شريحة عريضة من الأدباء المستنيرين المدافعين عن قضايا أمتهم وأوطانهم على الساحة الأدبية؛ ولذا يعد تعميم الحكم عليهم ظلمًا بينًا.

ثانيا: إشكالية شعر الحداثة على مستوى الموضوع من منظور النقد الحديث بين الدائرة والخروج:

ليس كل جديد، يعد خروجًا عن سياق المألوف، فقد يكون جديدًا، ولكنه يرتبط بشعيرة ما مع التراث والأصالة، سواء أكان هذا بالمحافظة على الشكل البنائي التقليدي للشعر الخاص بالقديم، فيكون في هذه الحالة التجديد في المضامين، أو بالتجديد في الشكل البنائي الحر للشعر عن طريق تجاوز النموذج البيتي الذي كان سائدًا، **والإبقاء على المضامين والمفاهيم الدينية والعربية، وأظننا نتعامل في بحثنا مع ذلك النوع الذي ينظر نظرة متوازنة للقديم والجديد على حد سواء،** فيغيّر في الشكل، لكنه يبقي على المضامين الدينية والقيم والتقاليد الموروثة المتوازنة، أما ذلك النوع الذي **يخرج بالشعر عن سياق المألوففي الشكل أو المضمون؛** فهو الذي يخرج بنا عن حدود **الدائرة**.

ومن ثم يكون عرض الصورة المرفوضة لبعض الشعراء الحداثيين على مستوى الموضوع خير مدخل لهذه الجزئية من البحث، حيث إنه لابد أن نعترف أن هناك من شعراء الحداثة والحداثيين من يتطاولون على الدين والذات الإلهية والملائكة والرسول والأنبياء والصحابة؛ ويخالفون القيم والأخلاق السوية، بحجة حرية الفكر والقول؛ **ومن ثم كان من الضروري أن يذكرهم الباحث، للتدليل على الخارجين من الشعراء عن حدود الدائرة،** وسوف يتضمن البحث بعضًا من نماذج أفكارهم وآرائهم النقدية، أما أشعارهم التي يتطاولون فيها؛ فسيفرد لها بحثا مستقلًا، يناقش فيه أفكارهم، ويحللها، ويرد على هذه الدعاوى المغرضة لهم.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك النوع المتطاول على الدين والعقيدة والثوابت والقيم والأعراف **"أدونيس"؛** فهو" من الشخصيات الواضحة التي جمعت في كتاباتها الحداثية بين **التنظير والتطبيق،** وبين النقد والشعر؛ وتتضمن كتاباته الشعرية والنثرية على حد سواء" هذا التطاول الموضوعي والفكري **"فأدونيس" هو الأب الروحي** لمجموعة الشعراء الذين لم يحترموا أية ثوابت أو أصول، ولم يقفوا عند حدود أية محرمات؛ **إنه يعد أبو الحداثة،** والحداثة عنده تعني التغاير، و**الخروج** من النمطية، والرغبة الدائمة في خلق المغاير[69]، وقد نظَّر **"أدونيس"** في كتابه **"الثابت والمتحول"** قائلا: **"بأن المطلق الإلهي وحده، لم يعد مركزا للكون بل صار الإنسان شريكا له"**[70].

وهذا تصور غير صحيح، وهذه نظرة غير سليمة على الإطلاق، وليس لها سند من الواقع الأدبي، وخاصة فيما يخص المضمون ...، وهذا الكلام **لأدونيس** يلقي بالأحكام المجحفة على كثير من الإبداعات الشعرية العربية ذات المستوى الرفيع المتألق التي تتخذ

---

[69]للمزيد انظر: مظاهر الحداثة في نقد الشعر العربي السعودي مقاربة في رؤى ثلاثة نقاد فلسطينيين: د. حسين المناصرة، كتاب ملتقى النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1434ه / 2013م، الدورة الرابعة، ص328.

[70]الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب، صدمة الحداثة: أدونيس، الجزء الثالث، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1978م، ص264.

من الشكل التفعيلي إطارًا لها، ونظامًا شكليًا، وقالبًا فنيًا لما تحتويه من مشاعر وأفكار ورؤى إسلامية مضيئة ...، وأنه إذا كانت بعض التجارب الأولى لهذا الشعر ـ **في بداية ظهوره** ـ قد انطوت على رؤية وأفكار وتراكيب لغوية وأسطورية مضللة ينأى عنها التصور الإسلامي، وتنأى عنها القيم والأعراف النبيلة ... فإن ذلك ليس ذريعة لوصم حركة الشعر (**التفعيلي**) كلها **بالخروج** عن **الدائرة**، والانعتاق من سيطرة الدين والقيم والعادات والتقاليد الموروثة والأعراف السائدة، ومخاطبة الغرائز والشهوات، كما أن القول بادعاء أن هذا الشكل الحداثي الجديد؛ لا يتفق وكون الشعر إسلاميًا؛ ليس له أساس من الصحة، فالواقع الأدبي يثبت نقيض ذلك من خلال الإبداعات الشعرية للشعراء الجدد في كل الأقطار العربية.[71]

إننا ـ بعد هذا القول المسند إلى "أدونيس" ـ في حاجة ماسة إلى نقد أدبي قوي يستوحي أصالة القديم من ينابيعه الصافية وجذوره الراسخة الثابتة، ويواكب الحداثة المعاصرة مستعينا بتطورات العصر وأدواته الجديدة؛ وإنها لمسؤولية كبرى يتحملها النقاد الغيورون على أمتهم وثقافتها، إلى جانب حاجة الناشئة من الشباب الواعي المثقف إلى التعرف على ما أنتجه الماضي، وربطه بالحاضر؛ حتى تستفيد الأجيال القادمة من إنتاجهم؛ فعليهم ممارسة النقد الأدبي ممارسة فعَّالة، وغربلة إنتاج الأدباء، سواء أكانوا من أولئك الرافضين للقيم الأخلاقية، أو للمبادئ الاجتماعية، أو للتعاليم الدينية **الخارجين عن حدودالدائرة**، أو من هؤلاء الملتزمين بالقيم الأخلاقية أو بالمبادئ الاجتماعية أو بالتعاليم الدينية **الداخلين حدود تلكالدائرة**؛ حتى نستصفي هذا الكم الكبير من الشعر الحداثي الجديد؛ كي نضعه في مكانه الصحيح على خط سير الأدب.

وهذا الطرح يدفعنا للتساؤل الموجه "لأدونيس"، ولهؤلاء الشعراء الخارجين عن حدود الدائرة، ولأمثاله من الذين خرجوا عن جادة الصواب في عصرنا الحاضر، تحت شعار حرية الفكر ـ ماذا سيتبقى لنا إذن لو أطحنا بكل شيء، وثرنا على كل الموروثات القديمة التي تعد ذات قيمة ونفع لمجرد أنها قديمة؟! فحرية الإبداع ليست مطلقة، لدرجة تجعلنا نعصف بكل شيء، وكذلك ليست القيود المطلقة نوعًا من الوفاء والولاء والتبعية، وحفظ الجميل للأجداد والدين والتراث، ولكن الأمر يتطلب منا نوعًا من التوازن في الطرح لهذه القيم والتقاليد والمفاهيم والعادات الموروثة من أصولنا العربية والإسلامية، وإعادة غربلتها، واستصفاء النافع من هذا التراث الفكري القابل للتغيير والتطوير على مر العصور، مع ضرورة التنويه ـ هنا ـ إلى وجود الثوابت الدينية التي لا يمكن بحال من الأحوال لكائن من كان أن يطالها بسوء، أو يحاول حتى مجرد تغييرها، والعصف بها، كثوابت الدين والعقيدة؛ وذلك لأن الخوض فيها دون أصول وعلم، يعد نوعًا من التطاول والجرأة وحب الظهور من باب "**خالف تُعرَف**".

فأية حرية هذه، تلك التي تصف الذات الإلهية بهذه الصفات"فتعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا؛ إنه تطاول مسف يجعل أي عاقل يشعر بنوع من الغثاثة عندما يقرأ مثل هذا الكلام؛ ليس لأنه في ثوب حداثي، بل لأن مضمونه ـ على الرغم من هذا التطاول ـ لم يضف للمتلقي

---

[71] للمزيد انظر: رؤية إسلامية في الأدب والثقافة: د. أحمد محمود مبارك، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2000مـ، ص17، 18.

جديدًا، ولم يلفت انتباهه، ويستثير تفكيره؛ كما يفعل الشعر الجيد الخالد في النفوس والعقول، بل على النقيض تمامًا، أضفى نوعًا من النفور؛ لما تحتويه كلماتهم في اللاوعي الجمعي من موروثنا الثقافي على تعد سافر، وعدم احترام وتقديس لديننا الحنيف ولماضينا العريق، ولثوابتنا الباقية؛ ومن ثم يكون كلامهم هذا مجرد هذيان، وفذلكة لا طائل من ورائها.

فكل شيء قابل للتغيير والأخذ والرد إلا ثوابت العقيدة التي لابد أن نتحرى الصواب، عندما نتحدث عنها أو نناقشها، فنحن لسنا مع من يظنون أن حرية الفكر، تعني التطاول على كل شيء، وأن حرية التناول تتضمن كل شيء دون استثناء، **إن الحرية ليست بالتطاول على الخالق، تحت أي مسمى،** حتى لو كانت تحت مسمى حرية التعبير، فحرية التعبير والإبداع، **تتعامل معه كرمز من الرموز المقدسة، فأية حرية تلك التي تجعلني أتجرَّأ على من كان سببًا لي في الوجود.**

وعلى الرغم من ذلك نقول: لا يمثل هؤلاء كل **شعراء الحداثة** العربية، بل هم يمثلون أنفسهم، وإحقاقا للحق هم محسوبون على الشعر **شئنا هذا أم أبينا**،ولعل الخلاف الحقيقي بين الفريقين: (**الملتزم بحدود الدائرة والخارج منها**) على مستوى الموضوع؛ يكمن في أن **الفريق الأول** منهم يفضل الأدب الذي يستوحي الحياة الاجتماعية الحاضرة، أما **الفريق الثاني** فيفضل الأدب الذي ينبع من الوعي الفردي على الأدب الذي ينبع من الوعي الاجتماعي، ويفضل أصحابه **الفن للفن على الفن للمجتمع.**

ومن ثم يكون للأديب الحق في أن يستلهم الأدب اليوناني والروماني، ويترك استلهام قومه، وهم أولى بالاستلهام من غيرهم، فنحن أكبر تذوقًا لما يستلهم منا، وأشد انتفاعًا به من غير أن ينقص ذلك من وهج الفن شيئًا، فهل يعجبنا أن ينصرف الأدباء كلهم إلى وصف لوعة الحب، والاستمتاع باللذة، والتغزل في الخمر، ولا يتعرضون لمكبلين بالأغلال، يجب أن يفكوا، وإلى غارقين في الجهل، يجب أن يتعلموا، ومصابين بالخمول يجب أن ينشطوا، أو لاصقين بالأرض يجب أن يعلوا إلى السماء؛ ثم نقول **الفن للفن،** وماذا يضير الفن لو نظر إلى المجتمع؛ فرفعه، كما فعل **برناردشو، وتولستوي، وتوفيق الحكيم،** وغيرهم الكثير من الأدباء الأكثر نفعًا على مدار التاريخ الأدبي"[72].

فإذا كان النقاد والشعراء العرب **لم يوقنوا خطورة التخلص من الدين؛** فإن الغرب قد أيقنوا خطورة ذلك؛ فنجد **فرويد ـ مثلا** ـ يحذّرنا قائلا :"لا شك فيأن الرغبة في التخلّص من الدين ، وبدفعة واحدة أمر لامعنى له، ومن الوهم أيضا أن نعتقد أنا لدين قد يتراجع أمام زحف أكبر للفعاليات العقلانية ، إننا نعتقد هنا أنه آن الأوان لفتح نقاشات فلسفية عالمية وجدّية حول الدّين والتديّن ، حول الإيمان واليقين، حول النص والأصل والهوية ، بدلا من النزاعات المنتشرة حول أصول الحقيقة، وبدلا من تلك الشعارات السمجة والمنافقة حول" **حوار الحضارات** "أو " **حوار الأديان**"، فالأمر أخطر من ذلك بكثير [73].

---

[72] للمزيد انظر: المعارك الأدبية: د. أحمد أنور سيد أحمد الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول، طبعة1983م، ص 323.

[73]للمزيد انظر: العرب ومسألة الاختلاف (مآزق الهوية والأصل والنسيان): د. إسماعيل مهانة، منشورات ضفاف لبنان، الطبعة الأولى 1435ه /2014م، ص 7 -8.

وفي هذا الصدد يرى الدكتور" **أحمد الجندي**" في كتابه "**المعارك الأدبية**": ضرورة تأكيد أنه في غياب الرؤية الإسلامية تتناسل الرؤى الضبابية التي تثير الزوابع المفتعلة حول النصوص الأدبية، بيد أن مؤثرات أخرى، أوغلت في فعلها السلبي إلى داخل النص؛ إذ لا يزال بعض من منظري الأدب الإسلامي ومطبقيه؛ يصرّون على تكبيل الشعر، والحد من قدراته الجمالية، تارة بإلباسه عباءة الهدف الأخلاقي، أو سربلته تارة أخرى في ثياب المكاسب النفعية المجردة"[74]؛ وغيرها من الأمور التي تعيق حركة التطور الفني؛ ومهما يكن من أمر؛ فلابد ألا نغفل ضرورة الانطلاق من رؤية دينية كانت أو بشرية؛ غير أنها لابد أن تصب في دائرة حدود ما هو مألوف، وليس هذا **بالخروج** عنه، أو بالتصادم مع الدين والثوابت.

وكذلك يرى الدكتور"**حسين علي محمد**" في كتابه "**نظرية الفن**" أن الإسلام دين لا يحارب الفنون، بل ينشر الفضيلة عن طريق الفن، ويحارب الفساد، وينشر القيم العليا والأهداف السامية، فهو لا يحارب إلا الفنون الرخيصة المسفَّة الهدَّامة التي تحطم إنسانية الإنسان، وتقربه من درك الحيوانية الأولى[75]؛ ومن هذا المنطلق، يرى الباحث ـ بلا أدنى شك ـ أننا عندما نضع شعر الحداثة وشعراءها في ميزان الأخلاق، يكون ذلك إيمانًا منا أن الشعراء **أساتذة للفضيلة، هداةٌ مصلحون، بناة مرشدون**، يجعلون سبل المكارم ممهودة، ويرسمون المثل الرفيعة التي ينبغي أن تحتذى، فالشعر مستودع الحكمة، وكتاب التربية[76]، وكما يقول الثعالبي: "**الأدب وسيلة إلى كل فضيلة، وذريعة إلى كلّ شريعة**"[77].

فالأدب الصحيح ليست مهمته أن يصف لنا "ما تنطوي عليه مخادع الزوجين أو الخليلين من أسرار، وليست مهمته أن يبلغنا ملابسات العاشقين ومداعباتهم، ولكن وظيفة الأدب في الحياة **وظيفة فنية جمالية اجتماعية**، قوامها أن يصور لنا **الوقائع الحادثة، والحقائق الزمنية**، إلى جانب دخائل النفس تصويرًا صادقًا، لا يداخله غلو في شيء، ولا إغراق في شيء، وكذلك المقصود من الأدب **ليس الحكمة أو الموعظة الحسنة**، وإنما هو أن **يعطينا صورة لأنفسنا**، ويترك للتاريخ صورة من حياتنا، فإذا جعلنا ما تنطوي عليه مخادع الزوجين أو الخليلين **صورة من التفسير الإنساني**؛ صحت علينا الأمانة الفنية أن نذكرها على ما هي عليه من واقع لا تغيير فيه، ولا تغرير"[78]

---

[74]للمزيد انظر: المعارك الأدبية: د. أحمد أنور سيد أحمد الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول، طبعة 1983م، ص 326.

[75]للمزيد انظر: القرآن ونظرية الفن: د. حسين علي محمد، دار آتون للطباعة والنشر، القاهرة، نوفمبر، 1979م، ص6-7.

[76]للمزيد انظر:وظيفة الشعر في النقد العربي القديم: د. وليد قصاب، مجلة العرب، السعودية، المجلد التاسع والثلاثون، العدد السابع والثامن، يونيو 2004م، ص 369-380.

[77]التمثيل والمحاضرة: الثعالبي، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، عيسى البابي الحلبي، القاهرة: 1381 هـ / 1961م، ص 159.

[78]للمزيد انظر: المعارك الأدبية: د. أحمد أنور سيد أحمد الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول، طبعة1983م، ص 188.

ومهما يكن من أمر فإن الأدب الحق الملتزم الجدير بالخلود والبقاء، لم يكن يصاغ للمتعة الفنية فقط، بمعنى أنه لم يكن غاية في نفسه، حيث يخضع الفن لقوانين خاصة، تضبط آليته، بغرض تحقيق غايته التقنية الخاصة، وإيصال معانيه في تحصيل (**الجمال والخير والحق**) فالفن فاعلية أو نشاط إنساني خلَّاق، يؤدي إلى إبداع عالم تخيلي يتكون من (**صور فنية**) تجسد نظرة جمالية للواقع الموضوعي، من منطلق رؤية الفنان الملموسة لهذا الواقع، وفق مرجعيات محددة في سبيل الوصول إلى (**الحقيقة**) الفنية من خلال مقاربات الفن النسبية، وما تعبر عنه من حالات (**وجدانية**) يمتزج فيها الانفعال الجمالي بالفكري والعاطفي، إنها تعكس الجانب الروحي والجمالي للفنان، ولا يكون هذا بتقليد الظواهر، وإنما ببناء ظاهرة فنية جديدة، لها كينونتها المتفردة. (79)

فالواقع الاجتماعي والمنطق العقلي؛ لا يجدان مبررًا لمن يكتبون لأنفسهم، أو ـ **بمعنى أدق** ـ لمن يكتبون الفن للفن ذاته، فليست لهذا النهج أرضية، تجعله يزدهر، وينمو، ويعيش في بيئة مسلمة؛ لأن من يفعل ذلك من الشعراء، كأنه ـ **في حقيقة الأمر** ـ يعيش في أبراج عاجية (80)؛ لا يشارك قومه أمور معاشهم، وجلَّ حياتهم، وهو بهذا ليس على قدر المسئولية التي تحتم عليه تبصير القارئ بقضايا عصره، وهموم أمته؛ ومن ثم يكون الطرح حول **أهمية تضمين المبادئ الدينية** و**المعايير الأخلاقية والاجتماعية** التي تتوافق مع طبيعة النفس السوية في العمل الأدبي ضرورة في حد ذاتها.

فاستبعاد التعليم والتوجيه عن الشعر والفن (**عامة**)، والاهتمام بالشكل والتعبير الأدبي أكثر من الاهتمام بالمضامين الأدبية أو الفنية(**خاصة**)، وخضوع النص الأدبي عند الحكم عليه للمعايير الشكلية فقط، دون النظر إلى المعايير الأخرى، يعد خروجًا عن المألوف، وانعتاقًا من حدود **الدائرة** التي لا بد أن يسير عليها الأدب في داخل خطوطها، وليس خارجها؛ وذلك لأن أدبًا لا يحمل مضمونًا؛ لا يمكن أن يجد قبولاً، وكيف يُقبَل كلامٌ لا معنى له، ولا فائدة من ورائه؟! فالقارئ لا يمكن أن يستمر في قراءة شيء لا يفيده، أو ينفعه؛ حتى إن كان جميلاً وبارعًا.

أما من يتبع من الشعراء نهج من يسخِّرون فنَّهم لمجتمعاتهم؛ فهؤلاء يدورون في حدود **الدائرة**؛ تلك التي يفترض أن يسير الأدب في داخل خطوطها، ومن يخالف ذلك النهج من الشعراء؛ يعد خارجًا عن المألوف، ويسبح في خارج فضاء **الدائرة**؛ وذلك لأن النظرية النقدية الأدبية العربية ـ **منذ نشأتها** ـ ارتبطت الناحية الفنية فيها ارتباطًا وثيقًا بالبعد الأخلاقي والديني، وكذلك العرف الاجتماعي والقيمي السائد في المجتمع العربي القديم، وراعى الشعراء في شعرهم ـ **منذ البداية** ـ حاجات جمهورهم وقضايا مجتمعاتهم.

وإذا نظرنا نظرة تأمل لواقع شعر الحداثة، ووضعناه على مستوى الموضوع في ميزان الأخلاق والدين والغايات الاجتماعية للشعر؛ وطبقنا عليه معايير القيم الأخلاقية والدينية؛ إلى جانب تلك الأبعاد الوظيفية والفنية، ورصدنا رصدًا دقيقًا مدى ارتباط الشعر بهذه القيم على

(79)للمزيد انظر: أقنعة الحداثة (دراسة تحليلية في تاريخ الفن المعاصر): د. عقيل مهدي يوسف، دار دجلة، 2010م، ص 14.

(80)للمزيد انظر: التفسير العلمي للأدب، (نحو نظرية عربية جديدة): د. نبيل راغب، المركز الثقافي الجامعي، بيروت،1986م، صـ139

مر العصور؛ فسنجد أن الشعر العربي لم ينفصل في جملته ـ **يوما ما ـ عن وظيفته الأخلاقية والدينية، وغاياته الاجتماعية والقبلية**، حتى في أحلك الظروف والفترات التي كان يُظَنُّ أنها أشد مجافاة لهذه المبادئ ظاهريا، فالباحث يرى أنه في أثناء تلك الفترات؛ كان يظهر في ذات الوقت بعض الشعراء الذين يتمسكون بهذه القيم الأخلاقية، من قبيل أن "**الكل فعل رد فعل؛ يساوي له في المقدار، ويضاد له في الاتجاه."**

فلا **تعارض إذن بين الشعر والخير الإنساني العام**؛ لأن الشعر ذاته خير إنساني، ولكنه خير من نوع فريد، غايته سبر قلب الإنسان من خلال التجربة الشعرية الصادقة، وفضح الأسباب المؤدية لتخلف الأمة والمجتمع، غير أننا لا بد أن ندرك أن الفن لا يخضع لمبادئ الأخلاق بصورة مطلقة، وليس هادفًا بطبيعته، وكذلك لابد أن ندرك الفرق بين الشعر من ناحية، والأخلاق والدين من ناحية أخرى، فلكل من المجالين طبيعته ومعياره، وإذا كان بينهما من صلة أو علاقة، تجتمع في هذا الفن أو ذاك، فهي علاقة حية متجددة، تقاوم الشر وتغيره. [81]

ومن ثم يعد الفصل التام بين المتعة والمنفعة في تحديد وظيفة الأدب من الأمور المستهجنة؛ حيث إن تعريف وظيفة الأدب، تتحدد في ثلاثة أمور مجتمعة: **(وظيفة فنية ـ وظيفة جمالية ـ وظيفة اجتماعية)**، تعبر عنها جميعا كلمة واحدة، تسمى**(بالتغيير)**، فوظيفة الفن هي التغيير للواقع من الشرية إلى الخيرية.

يقول الله (I):چ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭۇ ۇ چ [الرعد:11]

ومضمون هذه الآية يعبر عن ضرورة التغيير، فالحقيقة التي لا شك فيها؛ تكمن في نشدان الإبداع والتحديث والتنمية والنمو، وأن نكون **مجسدين في وجودنا وحياتنا لنظام من القيم والمبادئ والمقاصد الإلهية الإنسانية في الوقت نفسه؛ ومنها:العدالة، والحرية، والكرامة، والإنسانية، والتقدم الأخلاقي والمادي، والخير العام**. . . لأن هذه كلها تعد قيما مطلقة، تلتقي عندها القيم الدينية، والقيم الإنسانية، وعلينا أن نتشبث بها أيا ما كان، أو من كان مصدرها: الله أو الإنسان؛ لأنهمثلما يعبر **"ابن القيم"** بقوله: **"حيثما ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل/ العدل؛ فثم شرع الله"**. [82]

فلا بأس إذن من أن ينطلق الأدب أو النقد **ـ في أي عصر كانـ** من فلسفةأو رؤية قد تكون **(دينية)**، أوقد تكون غير دينية **(بشرية)**، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأهمية أي كاتب أدبي، أو أي نص أدبي، تعتمد بالدرجة الأولى على حجم التغيير الذي يحدثه هذا الكاتب أو ذاك في المجتمع، وهذا العمل المجسد لتلك الفكرة أو غيرها، فالمطلب الأساس، والهدف المرجو من أي عمل أدبي؛ لا بد أن يبنى على التغيير الهادف المنشود.

ومن ثم يكون تسليط الضوء ـ على توجهات الشعراء المتوازنين الذين لا يجدون ثمة تناقض بين رؤى الإسلام وتوجهاته من ناحية، وأشكال التعبير الشعري من ناحية أخرى، بصرف النظر عن طبيعة الشكل الشعري الذي تصب فيه هذه المضامين والرؤى الدينية ـ ،

---

[81]للمزيد انظر: النقد الأدبي العربي القديم، تطوره وقضاياه: د. رفعت التهامي عبد البر، دار النشر الدولي، الطبعة الأولى، 1429ه/ 2008 م، ص496 -498.

[82]للمزيد انظر: تحرير الإسلام ورسائل زمن التحولات: د. فهمي جدعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2014م، ص369.

فهناك من الشعراء الحداثيين من يكتب الشعر في ثوبه الحداثي مدافعا عن القيم والأخلاق والدين، وفي هذا الصدد أحب أن أسجل **ـ هنا** ـ أنه لم يكن شعراء الحداثة جميعهم يثورون على الأصول والثوابت والتقاليد، فلقد كان منهم من يتمسك بدينه وثوابته التي لا يمكن أن يقتحمها، أو يتجرأ عليها في يوم من الأيام؛ وهذه حقيقة تعد من الأمور الجديرة بالذكر **في بحث يبرئ المتوازنين من الشعراء،** ويؤصل **لمبادئ دينية عظيمة؛ تستقي أصولها ومنطلقاتها من قيم ديننا الإسلامي الحنيف.**

وبعد هذا العرض المستفيض لأقوال النقاد؛ يرى الباحث ـ **من وجهة نظره** ـ أنه لا بد أن ينطلق الشعر من هذه **المعايير الأخلاقية والأبعاد الاجتماعية والرؤية الخيرية النافعة** التي أجمع عليها أغلب النقاد، سواء أكان ذلك في ثوب تقليدي أم حداثي، فالأمر الذي يهمنا ـ أولا ـ يكمن في المضامين، وأن الذي يعطينا حكما متوازنا على جودة الشعر أو ورداءته، هو طبيعة الشعر ذاته وجودة مضامينه التي تجسد سنن الحياة البشرية والإنسانية وقوانينها ووقائعها، ونواميس الكون، وشرائع الدين، كل ذلك في ثوب شعري ما، أيا كانت طبيعة شكله ـ قديما كان أو حديثا ـ المهم هو الانطلاق من هذا البعد الأخلاقي والعرف الاجتماعي السائد في المجتمع العربي ـ **قديمه أو حديثه ـ** ومن هذه الرؤية الخيرية النافعة، وكذلك لا بد أن يراعي الشعراء في شعرهم **حاجات جمهورهم وقضايا مجتمعاتهم العربية** التي تضع أولى أولوياتها عند الصياغة الفنية مراعاة مدى التزام كل منهم بالبعد الأخلاقي والاجتماعي؛ فضلا عن هذا البعد الديني الذي لابد أن يكون في الصدارة.

فقد أدرك كثير من شعراء الحداثة الاهتمام بأعراف المجتمع وعاداته، وقيم الدين وتعاليمه؛ ولهذا كان على الفلاسفة والمثقفين والشعراء أن يصيخوا السمع بكل اهتمام لصوت المجتمع ، ولتطلعات الجماهير، ولبؤس الطبقات ، وكان على المنطق أن يصبح جدلًا ؛ مهما تبلغ المجتمعات الإنسانية من تنوير للعقول، وتعقيل للعلاقات، وتحرير للفكر، وستبقى القيمة تسكن بعض زوايا الحياة الإنسانية، وتغذّي حاجة الإنسان إلى فهم هذا الواقع المنوط بنا للتعبير عنه في عالم غريب، وطريق غير واضح المعالم. (83)

وإحقاقًا للحق، كان أغلب الشعراء الحداثيين قريبين من مجتمعاتهم، وليسوا جميعا بعيدين عن جادة الصواب، وكذلك ليسوا جميعا بعيدين عن قضايا أمتهم ودينهم؛ حتى لو حاول بعض المهاجمين لفكر الحداثة والحداثيين ـ بصفة عامة ـ أن يضعهم جميعا في سلة واحدة، ويحكم عليهم حكمًا واحدًا، فالحق يتطلب أن ننوه هنا إلى أن حداثة بعض **شعراء الحداثة؛** حداثة شكل لا حداثة فكر، وكذلك يتطلب أن نستل هؤلاء الشعراء الحداثيين من بين أولئك المتفيهقين **بالحداثة الفكرية القائمة على مهاجمة ثوابت الدين؛** واستلالنا لهم يكون، كما تسل الشعرة من العجين، وفي هذا **تمام تطبيق الإنصاف والحق والموضوعية العلمية** التي لا تعرف التحيز أو التدليس أو التعميم في الأحكام الظالمة على أحد، سواء من هذا الطرف أو ذاك.

(83) للمزيد انظر:العرب ومسألة الاختلاف (مأزق الهوية والأصل والنسيان): د. إسماعيل مهانة، منشورات ضفاف لبنان، الطبعة الأولى، 1435ه -2014م، ص 7 -8.

(المبحث الثالث)
(إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ عَلَى مُسْتَوَى الْقَضِيَّةِ)

إننا إذا أردنا أن نرسم (ملامح تجربة شعر الحداثة بينَ الدائرة والخروج على مستوى القضية) من خلال الأبعاد الثلاثة: (الأخلاقي، والديني، والفني)، فلا بد لنا من أن نناقش إشكالية الحداثة بصفة عامة، وشعر الحداثة بصفة خاصة بين الرفض أو القبول، وكذلك بعض القضايا الأدبية المهمة التي أفاض في مناقشتها النقاد، وأثير حولها الكثير من الجدل في أثناء تلك المناقشات الفكرية المتنوعة للشرائح المختلفة للأدباء والنقاد والمفكرين على مختلف أنواعهم وتوجهاتهم؛ وصنّفت تبعًا لذلك تلك الآراء والأفكار بين (الدائرة أوالخروج) وتباينت ـ على مستوى القضية ـ بين الرفض أو القبول.

وقبل أن نبدأ مناقشة **هذه القضية بموضوعية**، تراودنا مجموعة من التساؤلات تفرض نفسها بمنطقية علينا ـ **هنا** ـ للرد على هؤلاء المهاجمين المعممين لأحكامهم على الشعراء المتوازنين[84]؛ ومنها:

هل الشكل التقليدي كله، كان يسير وفق منهج الإسلام والدين، ولا يخرج عنه؟! وهل شعر الحداثة كله كان خارجًا عن الدين؟! وهل التجديد في الشكل الشعري كُفْرٌ وخروجٌ عن الملة؟! وكيف يكون الحكم على الشعر سواء بالجودة أو بالرداءة؟! وما حقيقة الأحكام النقدية الإيجابية أو السلبية التي صدرت من النقاد على شعر الحداثة؟ وما وظيفة الفن الشعري؟ وما معيارية جودة الشعر في التراث النقدي؟ وهل كان للشعراء الحداثيين نزوع لقيم الدين وتوجهاته وشخصياته وأحداثه وقضاياه وأعلامه ورؤاه وتوجهاته؟ وكيف كانت نظرة شعراء الحداثة العرب للعقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق، وغيرها من منطلقات الدين وتوجهاته وأسسه وأركانه؟

هذه الأسئلة وغيرها تتضمن صفحات هذا المبحث الإجابة عنها؛ ولتكن البداية بعرض **نبذة تاريخية مختصرة عن بدايات الحداثة في الغرب ومفهومها؛وذلك كي نناقش هذه القضية بموضوعية أكثر**؛ فقد ظهر مصطلح الحداثة للمرة الأولى **ـ في أوروبا ـ** متمثلًا في تلك الثورة العارمة التي نادى بها الفيلسوف **"كانط"** علىالعقل الخالص، والميتافيزيقية القديمة، **وامتدت الثورة من الدراسات الاجتماعية إلى مجال الدراسات الأدبية**، وأخذ النقاد الحداثيون

---

(84) عندما يسمع الواحد منهم اسم الحداثة؛ يتمتم بالآيات القرآنية، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وكأنهم أصابهم مس من الشيطان؛ فيردد بعضهم قوله تعالى: {**فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**}، وبعضهم الآخر يردد حديث الرسول(ε):"**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**"، وبعضهم يصف الحداثة بأنها حداثة تدمير، وليست حداثة تنوير، الخ ....

الغربيون، يلمون إلمامًا واسعًا بنظرات **"كانط"** المعروفة، [85] فتمثَّلوا ذلك الاتجاه العقلي الذي هيمن على كل مناحي الحياة، **وطبقوه كذلك على الأدب،** متمثلًا في الشعر والنثر على حد سواء.

وقد بدأ ظهور هذا المصطلح الحداثي في الدراسات الأدبية للمرة الأولى لدى الشاعرين الفرنسيين **"جيرار تويفال" و"شارل بودلير"** سنة 1850م؛ وحدثت ثورة هائلة على الأدب عموما، والشعر على وجه الخصوص، وبدأت تباشير الحداثة تظهر في الأدب **بانفتاح الشاعر والفنان على عصره، وبتجاوز الأطر التقليدية** التي تعيق تجليات الإبداع عنده، وحلَّ مصطلح(**الحديث**)كمفهوم مكان (**القديم**)، وكان ذلك لأول مرة في أوروبا في **القرن الرابع عشر**،كما يقول **"جان ماري دوميناك"**، غير أن هذا المفهوم، أخذ يتبلور ويتطور بفعل حركه الإصلاح الديني التي أطلقها **"مارتن‌لوثر"**في بداية **القرن السادس عشر**، وانبثاق عصر التنوير، أو ما يسمى بعصر النهضة، واشتعال الثورة الفرنسية، **وبدأ يتغلغل في شتى مناحي الحياة الأوروبية**. [86]

إنَّ الحداثة **بمفهومها الغربي السابق** قطعت الصلة بالماضي وقتلت الحاضر، وأظلمت المستقبل؛إنها عقيدة فكرية علمانية بلا معايير، تهدم كل ما سلف؛ **إنها بمفهومها الغربي تعني الإلحاد والاستهتار بالأديان، والعبثية والشك، وتشويه الرموز الدينية، والشذوذ والغرابة**[87]، وقد اتسع مفهوم الحداثة ـ **بعد ذلك** ـ واكتسب ديناميكية هائلة، تستند إلى مبدأ، **يؤمن بأنه لا شيء مقدس بالنسبة لها، ولا شيء محرم بالنسبة لها، فكل شيء مباح لها؛** جسم الإنسان والطبيعة والقصور والكنائس، لا شيء ينجو من دراسة العلم وتحليله؛ **حتى الفن والأدب خضعا للعلم؛** إنها ثورة معرفية، اخترقت سر الكواكب، وفجَّرت الذرة، وعرفت أسرار الطبيعة، وصعدت القمر، **وحطمت كل المحرمات التي كانتمن المحظورات السائدة في نظر المجتمع من قبل،** تلك التي كان لا يستطيع أحد مجرد الاقتراب منها؛ أصبحت في ظل الحداثة بتقاليعها الجديدة كلأ مباحًا. [88]

<u>وبهذا التصور للحداثة، نجدها تمتاز بأشكالها المتعددة، وطبيعة هجومها الشرس:</u>فالحداثة ليست منهجًا واحدًا، ولكنها عدة مناهج، كما أنه ليست هناك حداثة واحدة، بل **هي حداثات متعددة،** كل حداثة منها تجبُّ ما قبلها، فالحداثة مفهوم شامل، لا يخص الأدب فحسب، ولكنها تحلل التاريخ والمجتمع والثقافة، وغيرها من الأمور الحياتية والمجتمعية، أو هي رؤية ثورية، تقتحم السائد في عقر داره، فمنها الثورة: **(اللغوية – الفكرية – الاجتماعية –**

---

[85]للمزيد انظر: نظريات النقد الحداثي في الميزان: د. محمود حسن زيني، بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين المنعقد في مكة المكرمة، في المدة من 5 – 7 شعبان 1419ه، الجزء الثاني، 1420ه - 2000 م، ص355.

[86]إشكالية الإسلام والحداثة: د. عادل عبد المهدي، دار الهادي، شبكة الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1431ه -2001 م، ص 5.

[87]للمزيد انظر: خطاب الحداثة في الأدب والأصول والمرجعية: د. وليد قصاب، ود. جمال شحيد، دار الفكر، دمشق، 2005 م، ص 119 -315.

[88]للمزيد انظر: إشكالية الإسلام والحداثة: د. عادل عبد المهدي، دار الهادي، شبكة الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،1431ه /2001 م، ص 5.

الدينية) إنها تبادر إلى الاشتباك، ولا تنتظر الإذن من أحد؛ **إنها تهاجم عرين التخلف بأسلحة الفن وحده باللغة الجديدة، وبالتجربة الجديدة، وبالأفق الإنساني الجديد،** وبالأعماق المجهولة في الشخصيات الحية، وبالبناء الذي يكشف ما تخبئه الأحداث، وبالمواقف تحت السطح؛ إنها ثائرة حتى على نفسها. (89)

إن من خصاص سنة الحداثة ـ إن صح فيها استعمال مفهوم السنة ـ أنها سنة القطيعة، سنة تنفي ذاتها،وهي بذلك تستمر، فالحداثة ليست تقليعة عابرة، **وإن كانت تظهر أحيانا في شكل تقليعات متوالية؛**لأنها بحث عن الطريف والجديد، واكتشاف للمجهول، ومغامرة نحو الابتكار والإبداع المتواصلين، فهي تنتج الإنجازات المادية، كما تنتج القيم ومناهج التفكير والمؤسسات المجتمعية، وإذا كان لذلك تأثير في المستوى الديني في المجتمعات الغربية الحديثة؛ **فإنه من الصعب أن يكون لها نفس التأثير في مجتمعاتنا العربية والإسلامية** (90)، فالجميع يطرح فكره على الساحةالأدبية والنقدية والفكرية، وعلينا نحن أن نقبل الآخر، ونأخذ منه أو نرفضه، وفق ما يتناسب مع عقيدتنا وديننا وثقافتنا وأصولنا؛ ومن ثم نتعود ثقافة الحواروالمناقشة البنَّاءة التي تجعلنا نقبل سوانا، ولا ترفضه من البداية، بل نتحاور معه؛ حتى يصل الجميع في النهاية إلى كلمة سواء.

هذه هي الحداثة الغربية، أما حداثتنا العربية الإسلامية؛ فهي حداثة متوازنة تنطلق من وسطيتنا؛ فقد وصلتنا بالماضي، وأطلقت الحاضر، وأضاءت دروب المستقبل (91)، **فكما أن للغرب حداثته كذلك للإسلام حداثته،** وثمة ثنائيات تطرح على الساحة بشأن علاقة الإسلام مع العلمأ ومع المسيحية أو مع المدنية، وفي هذا السياق، جاءت **ثنائية الإسلام والحداثة** ، وتنوعت الكتابات ووجهات النظر بشأن الإسلام والحداثة ، فهناك من يقول إن الحداثة ترمز إلى التقدم المدني في الغرب ، وهناك من يرى أن للإسلام حداثته التي توافق في بعض جوانبها حداثة الغرب، وهناك من ذهب إلى أن الإسلام أرقى من الحداثة الغربية، **وبشكل عام هناك توجهان: التوجه الأول**: هو فصل الإسلام عن الحداثة ، **والتوجه الثاني**: هو الربط بين الحداثة والإسلام (92).

فأصحاب التوجه الأول يرون أن الحداثة فجرت مايسمونه التقاليد الثقافية الدينية المنغلقة ، وبذلك فإن أصحاب هذا المنحى يحاولون تأسيس الحداثة على أساس القطيعة والابتعاد عن الإسلام ، **أما أصحاب التوجه الثاني؛** فيربطون بين الحداثة والإسلام، **ويرون**

---

(89)للمزيد انظر: برج بابل النقد والحداثة الشريدة: د. غالي شكري، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1994م، ص 130.

(90)للمزيد انظر: الإسلام والحداثة: د. عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، 1991م، ص265.

(91)للمزيد انظر: تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها: د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1414ه/ 1994م، ص 198.

(92)للمزيد انظر: الإسلام والحداثة وما بعد الحداثة: د. زكي الميلاد، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد السادس، العدد الحادي والعشرون، 1431ه/ 2010 م، ص 99.

إمكانية تأسيس حداثة عربية إسلامية متوازنة[93]،وذلك يتطلب التخلص **- أولاً-** من الهزيمة الداخلية أمام الحضارة الغربية، ويرون أيضا أن الحداثة ، ليست غربية من حيث الجوهر والطبيعة، **ولايحق للغرب احتكار الحداثة؛ حيث** إن روحالحداثة؛**هي جملة القيم والمبادئ القادرة على النهوض بالوجودالحضاري للإنسانفيأيزمانومكان.**[94]

وفي هذا الصدد، يقول الدكتور" **عبد العزيز حمودة** "في كتابه **"المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك" مناقشا من ضخّم الحداثة الغربية من الكتّاب العرب: "تلك هي المرايا المحدبة** التي حاولت أن أذكّر الجميع بوجودها، وبأنهم أطالوا الوقوف أمامها أكثر من اللازم؛ لم أشأ في لحظة من اللحظات أن أرغم أحدًا على الوقوف **أمام مرايا مقعرة**، تصغر من حجمه، أو تقلل من شأنه". [95]

ومن هذا المنطلق الفكري أيضا، يقول الدكتور **"شكري عياد"** إن ما نعيشه اليوم من مظاهر الحداثة الغربية الممسوخة، ليس نابعا من جوهرنا، كما أنه أثبت أنه ليس لنا حداثة عربية في وقتنا الراهن [96]، غير أن الباحث يتفق معه في الجزء الأول من طرحه بأن بعضنا يعيش مظاهر الحداثة الغربية الممسوخة، غير أنه يختلف معه في الجزء الثاني من طرحه، عندما قال(إننا ليس لنا حداثة عربية في وقتنا الراهن)؛ **وذلك الاختلاف نابعمن حقيقة أن الحداثة العربية الإسلامية المتوازنة موجودة بالفعل،غير أنها بحاجة ماسة إلى استنهاضها؛ كي تهز الجمود، وتقهر التخلف، وتدمر الجهل، وتحقق الاستنارة، إنها حداثتنا نحن، وليست نسخة شائهة من الحداثة الغربية.**

وهذه الإشكالية التي تحدثت عن توجهات التعامل مع الحداثة، جعلت الباحث يطرح فكرة جديدة عن مفهوم الحداثة العربية الإسلامية المتوازنة منذ سنوات في ثنايا أبحاثه السابقة[97]، وقد نظّر لها، ووصفها بأنها ثائرة دائما على الثوابت والأعراف والتقاليد البالية التي تؤخرنا، وكذلك ترتقى بالأفكار إلى المستوى الأعلى، إنها لا تهدم كل ما سبق، **ولا تنسف الماضي كلية** كما هو معلوم عن الحداثة الغربية، بل تستصفي منه ما هو نافع ومفيد، وتبني عليه، وهي من هذا المنطلق؛ تعد **تراكمية تطورية** كل مرحلة من مراحل تطورها؛ تؤدي إلى المرحلة الأخرى التالية لها، ولن يتم هذا الارتقاء لمرحلة تالية إلا بعد أن **تجعل من المنجز السابق النافع أساسا ومنطلقا للاحق**، وليس نسفه كلية؛ فالإبقاء على ما هو نافع من هذه الثوابت والاستفادة منه، **يعد إحدى الثوابت لتلك الحداثة المتوازنة.**

---

(93) الباحث يسير بفكره نحو التوجه الثاني؛ غير أنه يجد الكثير من المعوقات الفكرية التي تحد من ازدهار تلك الحداثة الفكرية، والنهوض بها في عصرنا الراهن، وسوف يفرد الباحث لهذه المعوقات الفكرية التي تعوق ازدهار الحداثة العربية والإسلامية وتطورها بحثا مستقلا بذاته فيما بعد إن شاء الله.

(94)للمزيد انظر: الإسلام والحداثة وما بعد الحداثة، د. زكي الميلاد، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد السادس، العدد الحادي والعشرون،1431ه/ 2010 م، ص 99

(95)المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، أبريل،1998م، ص9.

(96)للمزيد انظر: الحداثة في الشعر: د. شكري عياد، ندوة العدد، مجلة فصول، العدد :1 / 1982م، ص 262.

(97)للمزيد انظر: **نحو حداثة عربية إسلامية متوازنة:** د. محسن سيد يونس عثمان، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد الثالث والعشرون، الجزء الثاني، سنة 2005م، وكذلك بحث: **إشكالية الحداثة بين التأصيل والتغريب:** د. محسن سيد يونس عثمان، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد الخامس عشر، والسادس عشر، الجزء الأول، سنة 2004م؛ **فهما بحثان نشرا لتأصيل تلك الحداثة العربية الإسلامية المتوازنة.**

وعندما ننقب في قلب تاريخ الفكر العربي، ونطبق مفهوم الحداثة الفكرية المتوازنة على مراحل حياة الإنسان العربي؛ **نجد حداثات متوازنة كثيرة، تتجسد في أزمنة ومراحل متعاقبة في تاريخ أدبنا العربي**، مثلت كل حداثة منها تغييرًا ما للواقع، بالثورة على الركود والثوابت التي تقيدنا، وتقيد تفكيرنا، وتحد من طموحنا وتقدمنا وتجديدنا وابتكارنا وإبداعنا، **ويكون كل هذا مع التمسك بالثوابت النافعة ذات القيمة التي تعطينا فرصة للانطلاق صوب آفاق التقدم والرقي**، نعم هناك حداثة غربية، عصفت بكل الموروثات والتقاليد القديمة، وهذه نحن نرفضها، غير أن لنا ـ **نحن العرب والمسلمين** ـ حداثتنا المتوازنة التي تنبع من أصولنا وقواعدنا؛ **حتى لو ادعى بعض النقاد والمفكرين المتشدقين بالفكر الغربي غير ذلك**؛ ظنا منهم أن التشدق به، سيعطيهم نوعًا من الوجاهة والتميز.

فما نهدف إليه ـ هنا ـ يكمن في **ضرورة النظر بموضوعية وعدم الانسياق وراء أقوال هذا أو ذاك**، والتسليم بها دون تدقيق، فهل هناك شك في أن الفيصل في الحكم على الأمور، يكمن في النتاج الشعري لبعض هؤلاء الحداثيين الذين ندافع عنهم وعن توجهاتهم فقط دون سواه؟! ونأمل بعد عرضنا لهذا البحث الذي يمثل الجانب التنظيري أن نلحقه ببحث آخر يتضمن نماذج حية على هذا النزوع الإسلامي، وتلك الوسطية المتوازنة في الشعر الحداثي [98]؛ وهذا حتى يغير بعض النقاد نظرتهم الجامعة المانعة الحادة **التي ترى في كل خروج على الشكل العمودي للشعر خروجًا على الشعر في نهجه الإسلامي** [99].

إن ذلك النوع المتوازن من الشعراء الحداثيين؛ هو الذي دفع الباحث وحفزه على الوقوف مدافعًا عنهم ضد النقاد الذين يهاجمون كل **شعراء الحداثة، دون تفريق** بينهم، ويتهمونهم جميعا **بمحاربة العقيدةوبالخروج عن الدين، بل تكفيرهم**، فهؤلاء النقاد يظنون ـ **خطأ ـأن هذا الشكل الفني العمودي التقليدي القديم؛ ارتبط منذ نشأته بخدمة الدين والعقيدة، ومحاربة الفساد والانحراف،ومناقشة قضايا الإسلام والعروبة، والذود عنها**، وقد نسي هؤلاء؛ بل تناسوا ـ أيضا ـ أن هذا الشكل التقليدي احتوى في طياته ـ **في بعض الأحيان ـ خروجًا عن الدين وتعاليمه، ومخالفة للقيم السلوكية السوية السائدة، والأعراف الاجتماعية المتوازنة**؛ وذلك عندما احتوت مضامينه على كثير من **الخروج** عن المألوف؛ مثل: **الفخر بالباطل والهجاء المقذع، والغزل الفاحش البذيء، والمدح المتملق، ووصف الخمر، والغزل بالمذكر، والشعوبية، والتعصب القبلي البغيض، وشعر الزندقة والوجودية والإلحاد**، وغيرها من المضامين التي ثار عليها الإسلام وحاربها، وثارت عليها كل الأعراف الاجتماعية والتقاليد الثابتة السوية المستقيمة.

---

[98] لتأكيد هذا الطرح والتطبيق عليه بإثبات النزوع الإسلامي والوسطية لدى الشعراء الحداثيين المعاصرين؛ كتب الباحث د. محسن سيد يونس عثمان بحثين، أحدهما **نشر تحت عنوان: الوسطية العربية والإسلامية في الشعر العربي المعاصر بين النظرية والتطبيق**(رؤية جديدة لرصد أوجه التفاعل بين ملامح الشكل وأبعاد المضمون) نشر في مجلة كلية الآداب ـ جامعة المنوفية ـ العدد الثالث بعد المئة ـ أكتوبر ـ سنة 2015 م)، وهناك **بحث آخر قيد النشر** تحت عنوان: (**ملامح النزعة الإسلامية في شعر الحداثة بين الرؤية والتشكيل**) رؤية جديدة نحو تبرئة شعراء الحداثة المتوازنين.

[99] للمزيد انظر: وقفات عليا للاتجاه الإسلامي في الشعر العربي: د. عبد العزيز بن محمد الفيصل، الرياض، الطبعة الأولى 1414هـ، 1994 مـ، صـ17.

وفي هذا الصدد، يرى الدكتور "**محمد زغلول سلام**" أن الشعر الإسلامي؛ ليس كل ما صدر عن المسلمين، فقد يكون صدر عنهم، ولكنه **كان هجاء شخصيًا، أو سياسيًا، أو سبابًا مقذعًا، وقد يتناول العورات والأعراض، وكل ما يعف عنه لسان المسلم الحق الملتزم بقيم الإسلام وأخلاقياته**، فهل يجوز أيضًا أن **نعد شعر الخمريات والغزل بالمذكر، والغزل الصريح الماجن**، وما يخالف العقيدة الصحيحة من فكر مشوش، وكل الشعر الداعي إلى الشر من الإسلام شعرًا إسلاميًا، **وهو مكتوب في شكل تقليدي** ؟!(100).

والإجابة بالفعل عن السؤال السابق، تكون بالرفض، حيث لا يمكن أن نعد الموضوعات التي تخالف العقيدة أو الفكر السوي من موضوعات الأدب الصحيح، حيث إنها تخالف توجهاته، وتعارضها، **وإن كان فريق من النقاد قد أنكر وجود إحساس ثابت لدى الأفراد بهويتهم، غير أن الباحث يختلف معهم؛ حيث إنه لابد أن يكون الشاعر أو الفنان على وشيجة ما بقضايا مجتمعه وأمته**، ولا ينفصل عنها؛ لأن الأفكار الواعية وغير الواعية تشير إلى خصوصية حول الموضوع الذي يعبر عنه هذا الشاعر أو ذاك؛ وذلك لأنها تعبر عن هوية الفرد وخصوصية المجتمع، فكينونة **الأفراد (الملتزمين حدود دائرة الموضوعات الدينية والأخلاقية)**ذات أهمية كبرى في دفع الفن نحو تبني هذا الموضوع أو ذاك(101).

فليس كل الشعراء المعاصرين أصحاب فكر خارج أو مناف للثوابت والأصول الدينية – **وإن كان إحقاقًا للحق** – فيهم من ترك جادة الصواب، وسار على طريق الغي والضلال؛ ومن ثم يكون من المفروض علينا ـ **نحن النقاد** ـ عدم تعميم الأحكام، **فالصالح والطالح موجودان**، وليس أدل على ذلك من قوله(I)عن فريق الشعراء الغاوين الضالين: **ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [الشعراء224 :226].** غير أنه استثنى من الشعراء فريق المؤمنين الصالحين، هؤلاء الذين وصفهم (Ψ)، وأثنى عليهم بقوله (I) :**ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ [الشعراء :227]**فليس معنى وجود الطالح أنه ليس هناك ما هو صالح، فالأمر يتطلب منا التروي والتمهل **والبحث بجدية ودأب عن مصادر الشعر المتوازن المضامين ذي النزعة الدينية في ثوب حداثي،** فأي مجتمع في العالم؛ لابد أن نجد فيه هذا وذاك، **فلماذا العجلة في الحكم إذن؟!**

فلا يمكننا الآن إلا أن نقول "**لأصحاب الرأي القائلين بمحاربة كل شعراء الحداثة الدين**": حسبكم ما تقولون، إنكم بهذا القول الذي لا سند له ولا دليل، **تريدون من الشعراء الملتزمين بثوابت الدين والعقيدة من الحداثيين أن يخلُّوا الساحة لغيرهم من شعراء العبث والفوضى من مدعي الحداثة؛** فيتوجَّه الشعر جهة الزيف والضلال، ولكنَّ هذا لن يمنع **شعراء الحداثة** من النزوع نحو القضايا والتوجهات الدينية، وتبني تيار التحديث، **فليس كل شعراء الحداثة عبثيين**، بل حريصين كل الحرص على تفجير طاقاتهم الإبداعية، وتعميقها **منطلقين من إيمان بالله، وموائمين بين ما يؤمنون به، وما يقدمونه من عمل فني، يهز الوجدان، ويثير المشاعر**، ويدفع النفس والعقل إلى الفعل الإيجابي، فحداثتهم لم تتعد حداثة

(100) للمزيد انظر: من سمات الشعر الإسلامي: د. محمد زغلول سلام، مجلة الأدب الإسلامي، العدد التاسع عشر، المجلد الخامس، سنة 1419 هـ، صـ 5.

(101)للمزيد انظر: سوشيولوجيا الثقافة والهوية: هرلمبس وهولبورن، ترجمة حاتم حميد محسن، الطبعة الأولى، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ص77.

الشكل، **فمنهم من يعرف ربه جيدا، ويقدس دينه جيدًا، ويحترم معتقداته جيدًا**، ولا يتطاول عليها، فتعميم الأحكام عليهم جميعا؛ يعد من قبيل الهدم للمحاولات الجادة المخلصة لهؤلاء الشعراء الحداثيين الذين يتبناهم البحث، ويدافع عنهم.

نعم نحن لا ننكر أنه قد برزت في حياتنا الفكرية والشعرية المعاصرة بعضظواهر الانحراف العقدي والفكري والسلوكي، وهي من هذا المنطلق، تدخل تحت دائرة **الخروج** المرفوض، فهناك بعض الأصوات التي انطلقت؛ تدعو إلى الوقوف في وجه تلك الانحرافات ومعالجتها، **وتوسلت إلى ذلك من جملة ما توسلت بالوسطية**، وعدم التطرف، **وفريق آخر** منهم واجهوا تلك الانحرافات بالغلو والتطرف واتهام الجميع **(منحرفين وغير منحرفين)** بالكفر والزندقة ماداموا يكتبون وفق **الشكل الحداثي**، متمثلا في **(شعر التفعيلة أو قصيدة النثر)، غير أن الباحث في بحثه هذا؛ يريد أن ينصف غير المنحرفين من الشعراء الحداثيين المتوازنين، وينصرهم، ويشد على أيديهم؛ ويؤازرهم؛ لأن تعميم الأحكام على الجميع؛ يعد ظلمًا بينًا.**

وعلى الطرف النقيض من الجانب الآخر؛ ظهرتمجموعة من النقاد ومن قادة الفكر الحداثيين المتطرفين كذلك في أحكامهم؛ فوصموا كل ملتزم بدينه، وخاصة في الأمور المظهرية **بالتطرف، والتنطع، ومجانبة الوسطية**، فالمحافظ على السنن والآداب؛ نعتوه **بالمتشدد**، والمبتعد عن الخنا والفجور؛ نعتوه **بالمتزمت المتحجر**، والمجتهد في العبادة والدين؛ **نعتوه بالمغالي في الدين**، والداعي إلى تصحيح المفاهيم، ووضع الأمور في نصابها الصحيح؛ **نعتوه بالمتنطع المتحذلق**، والمتطلع إلى المستوى العالي الراقي الوضيء؛ **نعتوه بالمثالي الخيالي**، ونقيض كل ذلك من الأنواع السابقة؛ **نعتوه بواسع الأفق الواقعي في سلوكه، المدرك الحاذق العارف بخبايا النفس وحقوقها، المنفتح على الحياة المعاصرة والمدنية**؛ لأن مشاربه وصفاته تتفق مع توجهاتهم وتصوراتهم وأفكارهم.[102]

فلا شك ـ **إذن** ـ في أننا ـ **شئنا أم أبينا** ـ نعيش **لحظة من لحظات الانهيار الحضاري** الذي يواكبه تغطرس الاستكبار التدميري، سواء من هذا **الصنف المتطرف في مهاجمة كل جديد**، أو ذاك **الصنف المهاجم لكل قديم، وأمام هذا الواقع المرير؛ لا بد من صيحة؛ تنبه الغافلين**، وتستل من الظلمة فجرًا، فلا عجب إذن أن يكون هنالك خيط جامع بين الإبداع والإنتاج الفكري، وهذا الخيط هو صرخة ألم؛ وكما يقول **"الكواكبي"هي كلمة حق وصيحة في واد؛ فإن ذهبت اليوم مع الريح؛ فقد تذهب غدًا بالأوتاد"**. [103]

وبقليل من التعقّل والتفكير الذي دعانا إليه ديننا الحنيف في أكثر من موضع[104]؛ندافع عن **شعراء الحداثة** المتوازنين، **على مستوى القضية**، ولنبدأ أولا بالرد على هؤلاء

---

[102]للمزيد انظر: وسطية الإسلام والأمة المسلمة: د. عثمان جمعة ضميرية، مجلة البيان، عدد 167، رجب، 1422ه، أكتوبر،2001 م، السنة السادسة عشرة، ص8.

[103]للمزيد انظر: حول مرجعيات الاستشراق المعاصر: د. حسن الأمراني، مجلة البيان، العدد 11، السنة الحادية عشرة، ذو القعدة، 1417ه، أبريل 1997م، ص 51.

[104]**وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحثنا على إعمال العقل والتفكير**، وتدعونا إلى التطور والتجديد، ليس هذا فقط، بل هناك من الأحاديث والأقوال المأثورة للسلف الصالح ما يدعو لهذا، فلماذا نضيق على أنفسنا، ونرفض كل جديد على أساس جدته؟! ولماذا لا نقبل الآخر، ونستمع إليه؟! ولماذا نحكم على الشيء قبل أن نستوعبه ونعرفه جيدا، وننصب من أنفسنا خصمًا وحكمًا في الوقت نفسه على كل ما هو جديد؟!

المكفرين (**على مستوى قضية الدين**)، ونقول لهم: **فلنَحتكمْ إلى كلمة سواء بيننا وبينكم؛ ولنُحَكِّمْ الدين الذي نعتنقه جميعا؛** غير أننا نتخذ من وسطية الدين شاهدًا علينا وعليكم، فالوسطية الإسلامية شاهدة على كل الناس، وعلى جميع الأمم والشعوب[105]

ومن أهم معالم تلك الوسطية عدم تكفير المبتدعة والمخالفين للسابقين،**"فلا يكفر أهل السنة والجماعة كل من قال قولاً مبتدعًا، بل يؤول كلامه ويفسر؛ فإما أن يكون مجتهدًا، وإما أن يكون مفرطًا مذنبًا،** فلا يقال: إن فلانًا إيمانه حبط لمجرد انحراف ارتكبه، أو ذنب أخطأه، **فتكفير الناس لا يكون إلا بدليل شرعي؛ يُبين فيه الشارع الحكيم أن هذه الأقوال المبتدعة المنحرفة المضللة؛** تتضمن نفي ما أثبته الله (Ψ)ورسوله(ε)، أو إثبات ما نفاه الله (Ψ) ورسوله(ε)؛ ولهذا تصل بالقائل إلى درجة الكفر الصريح، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، فيقال في تلك النصوص صراحة: إن من قالها فهو كافر، ونحو ذلك...، وهم في هذا يجهلون أن **يكون لهذا القائل إيمان عظيم وحسنات، أوجبت له رحمة الله"** [106].

وقد ذكر الرسول(ε)ذلك في أكثر من موضع، مؤكدا أن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم سبعين خريفا، ونص الحديث كاملا :عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِها سبعين خَرِيفًا فِي النَّارِ"**[107] فإذا كان هذا فيما دون الكفر، فما بالنا بمن يكفِّر الناس، **فمن ذا الذي يتألى على الله؟!**.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور **"محمد بن سعد بن حسين"**لا يجوز **التألي على الله، والحكم على خلقه**بالكفر أو بالإيمان، بل نكل أمر الذات لخالقها، إلا ما أذن لنا فيه من أمور، حددها الشرع الحنيف، ليس هذا منها، فالذي يهمنا هو أدب الأديب، وليس ذاته؛ **لأن خروج المسلم من دائرة الإسلام، ليس بالأمر الهين، فعلينا أن نتبصر ونتدبر قبل إطلاق الأحكام، وقبل أن نطلق الكلام على عواهنه"**[108]

والسؤال الذي يفرض نفسه علينا بإلحاح ـ كذلك ـ يكمن في الآتي: هل إذا انحرفت طائفة ما **(وهم الشعراء)**؛ تقابلها طائفة أخرى **(وهم العلماء)** بنفس هذا الانحراف؟!فهيهات بين الانحرافين، مع ضرورة العلم أنه لابد لطائفة العلماء من الالتزام بمبدأ الوسطية، والاعتصام به، فانحراف الداعية والعالم يعد كبيرًا، فما يقبل من غير الدعاة والعلماء، لا نقبله من العلماء في الجهة المقابلة لها، ولا شك في أن من اعتصم بالله(Ψ) وبكتابه، وبسنة نبيه محمد(ε) من الفريقين (**الشعراء والعلماء**) يعد من الفائزين. [109]

---

(105) يقول تعالى: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**} [البقرة: 143]

(106) للمزيد انظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين: أحمد بن علي الزاملي عسيري، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431 هـ ، ص45

(107)مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1416 هـ / 1995م، الجزء الثامن، ص 79.

(108) للمزيد انظر: قضايا في الأدب الإسلامي وقفات تصحيحية وبحوث أخرى، د. محمد بن سعد بن حسين، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع، طبعة 1415 هـ / 1994 م،ص 35: 37 .

(109) للمزيد انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: د. عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعةالأولى، 1415 هـ / 1995 م ، ص219.

إن أهم ما يفرضه علينا ديننا الحنيف، يكمن في ضرورة الإقرار بما **يسمى بقبول الآخر**، فالوسطية في كل الأمور مقبولة ومستحسنة وواجبة"(110)، فلا تكفر طائفة من العلماء طائفة أخرى من الشعراء وقعوا في انحراف أو خروج عن المألوف، وترفضهم ولا تقبلهم، بل تنصحهم ونهادنهم بالرفق واللين الذي ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، وهذه هي صفات الداعية الحق، يقول تعالى: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [النحل:125] ومن ثم كان لزامًا على العلماء والنقاد والفلاسفة والمفكرين والمثقفين، وغيرهم من أصحاب العلم والفكر أن يأخذوا بأيدي من انحرف من الشعراء وأصحاب الإبداع القولي، ويتحروا الدقة والعدل قبل إطلاق الأحكام المطلقة عليهم بالتكفير، أو بمهاجمتهم لمجرد المخالفة للسابقين لهم أو المعاصرين.

وبتحليل تلك المناقشات الثرية لتلك القضايا التي دارت **حول إشكالية شعر الحداثة بصفة خاصة**؛ وبرصد مواقف النقاد والمفكرين والمثقفين العرب من الفكر الغربي، ووجهات نظرهم وآرائهم حول **بعض الظواهر الجديدة الوافدةبصفة عامة**؛ تبلورت أمامنا **ثلاثة اتجاهات متمايزة**، تتباين في منطلقاتها، **على مستوى القضية**؛ كل اتجاه منهم تبنَّى **وجهة نظر مختلفة عن الاتجاهين الآخرين؛ وسوف نفصل هذه الاتجاهات الثلاثة فيما يأتي:**

الاتجاه الأول: وهؤلاء هم أصحاب الموقف الرافض المعارض لكل ما يأتي به الغرب، وخاصة حداثته، ومفاهيمه عن الكون والإنسان والحياة؛ وقد تبنى هذا الاتجاه الرافض المعارض فريق من المفكرين الإسلاميين الرافضين للحداثة رفضًا تامًا؛ فكل الظواهر الجديدة منذ البداية، يصدون عنها، وينفرون منها، ويتعصبون ضدها لمجرد أنها جديدة؛ لأنه قد ثبت في الأذهان ـ **عن طريق الخطأ** ـ أن كل جديد؛ قد يحوي في طياته رفضًا مطلقا للقديم، ومن بين هذا القديم (**الدين**)؛ **ومن ثم تم هذا الرفض**، فالحداثة ـ **من وجهة نظرهم** ـ هي المسؤولة عن فشل الممارسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في المجتمع العربي؛ لأنها أبهرتهم بضجيجها، وسحرتهم بأضوائها وبروقها؛ ومن ثم أسهمت بصورة أو بأخرى في ترك تطبيق **ذلك النموذج الإسلامي**؛ فهم يرون أنها لم تحقق أي فلاح حتى الآن،**بل إنها أسهمت في الهدم للدين وللمعتقدات ولكل الثوابت؛ ولذلك تم رفضها بصورة قاطعة**.

الاتجاه الثاني: وهؤلاء هم أصحاب الموقف المنبهر انبهارًا تامًا بالغرب، وذلك عندما أخذوا منهم كل شيء: المحاسن والمساوئ،فهؤلاء عايشوا الحداثة، واستوعبوها، ودافعوا عنها، وتعصبوا لها، واتهموا القديم بالرجعية والتخلف، فهم ينظرون للحداثة ولما بعد الحداثة نظرة إيجابية؛ تستكشف القيم التي تتضمنها، من حيث تأصيلها لنزعة تحرير الإنسان، والموقف المضاد للشمولية الفكرية، والدعوة إلى الأنساق الفكرية المفتوحة، وهذا الاتجاه كانت له جوانبه السلبية، ومن أبرزها الامتناع عن صياغة التعميمات أو الثوابت أو المحرمات في المجتمع، بدعوى أنه لا شرعية لأي تعميم اجتماعي أو اقتصادي أو تاريخي، فكل شيء قابل للنقد وللنقض وللهدم، فلا ثوابت، ولا محرمات لديهم .

الاتجاه الثالث: وهؤلاء هم أصحاب الموقف المتوازن، أو ما يطلق عليه الاتجاه التوفيقي، فهؤلاء أخذوا من الغرب ما رأوه مناسبًا وصالحًا، يتوافق مع تراثنا وعقيدتنا السمحة، ولا يتنافر معها، وتركوا ما عداها من المفاهيم الصادمة الناسفة للقيم والمبادئ الدينية والثوابت والأصول التراثية، وهؤلاء هم الذين ينظرون نظرة متوازنة للقديم والجديد على حد سواء،

(110) للمزيد انظر: شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب: د. صالح بن فوزان الفوزان، الجزء الأول، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثانية، 1431 هـ،ص84.

فنجدهم يستصفون القديم، ويأخذون أحسن ما فيه، ويجعلونه منطلقًا لهم، ولكنهم لا يتوقفون عنده، ولا يتقوقعون فيه، بل يطورون أنفسهم وفكرهم، بما يتناسب مع طبيعة العصر الذي يعيشون فيه، فليس معنى وجود الجديد؛ التمرد على كل ما هو قديم، وليس معنى وجود القديم، الصد عن كل ما هو جديد؛ إنهم يتمثلون في أولئك المفكرين الإسلاميين الذين ينظرون نظرة متوازنة إلى الحداثة وما بعد الحداثة، على أساس أننا نمتلك أنموذج الحداثة الإسلامية العربية المتوازنة الذي يقبل الاستفادة من فكر الآخرين أيًا كان مصدره[111].

وقد تبلور عن هذه **الاتجاهات الفكرية الثلاثة (الرافضة والمنبهرة والمتوازنة) للحداثة** من قبل **المفكرين والمثقفين والنقاد والعلماء؛ ثلاث وجهات نظر متباينة كذلك من الأدباء بصفة عامة، والشعراء بصفة خاصة**، فإذا أردنا أن نُفصّل الحديث في هذا الصدد عن **توجهاتهم من حيث نظرتهم للقديم والجديد بصفة عامة؛ولتلك الحداثة الشعرية الوافدة بصفة خاصة**؛ فسنجد أنها **تتمثل في ثلاثة أنواع ـ أيضا ـ نجملها فيما يأتي:**

(<u>النوع الأول</u>): وهو ذلك النوع من الأدباء والشعراء الذين يمثلون **<u>الموقف المعارض</u>** للغرب وحداثته ومفاهيمه عن الكون والإنسان والحياة؛ فهؤلاء الشعراء يؤمنون أن هناك أدبًا يعنى بالقيم الجمالية التقليدية الأصيلة في تراثنا؛ **فيحافظون على الشكل التقليدي**؛ يرصون فيه أفكارهم ومضامينهم البالية القديمة التي تمتاز بالخطابية وبالتقريرية وبالمباشرة والسطحية العقيمة الباهتة، فماذا يصنع هؤلاء بهذا الأدب؛ حينما يتمسكون بالشكل فقط، ولا يتطرقون لتغيير المضمون الذي يتناسب مع طبيعة العصر؟! إنهم بذلك يكذبون على أنفسهم؛ وذلك لأنهم يعبرون عن مضامين قديمة، قتلت بحثا وقراءة في عصر المفترض أن يعيشوه ويتعايشوا معه، **فأدبهم إذن أدب عقيم مبهرج، يخاطب النواحي الفضولية عند الإنسان، فلا وجود لمكامن الثورة فيه، ولا سبيل لإخراج الطاقة الروحية منه** [112].

(<u>النوع الثاني</u>): وهو ذلك النوع من الأدباء والشعراء الذين يمثلون **<u>الموقف المنبهر</u>** انبهارًا تامًا بالغرب، فهؤلاء الشعراء أشاحوا بوجوههم عن تراثنا، وطالعونا بالتجديد، وجاءوا بنظريات باطلة، ظاهرها جميل خدَّاع، وباطنها قبيح فارغ، فتمثَّلوا أدبا يدغدغ العواطف والأفكار، ولا يحرقها، ويشعل الفكرة بشعاع النظرية، ولا يطبقها؛ واستيقظ شرقنا المسكين؛ فوجد هذا الضجيج والعجيج من الأفكار والفنون والآداب؛ فهاله الأمر، واستهواه التقليد، وهو الذي أثخنته الجراح، وفقد الثقة والصلة بالماضي، وكان لابد لنا من أن نفعل شيئًا، بعد أن ضعنا بين أمرين؛ لم نحسن كليهما، فأدبنا العربي والإسلامي ضائع بين جاحد غافل، وغبي جاهل، ومؤمن متواكل؛ فلنا الله فيما آلت إليه الأمور؛ **فإلى متى النوم أيها الغافلون؟! وماذا نفعل؟! أو ليس في بعث الإسلام بعث لمجدنا ولأخلاقنا ولحضارتنا؟!** [113].

(<u>النوع الثالث</u>): وهو ذلك النوع من الأدباء والشعراء الذين يمثلون **<u>الموقف المتوازن</u>**، وهو ما يطلق عليه الاتجاه التوفيقي، فهؤلاء الشعراء **تبناهم الباحث في بحثه هذا، ودافع عنهم، وأنصفهم ـ على مستوى القضية ـ حيث إنهم استفادوا من تجارب الآخرين**، وحدَّثوا في فكرهم وشعرهم، غير أنهم حافظوا على القيم والمفاهيم والعادات والتقاليد الفكرية

---

[111] للمزيد انظر: الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين وآخرون، ندوة ثقافية عقدت يوم: 13 – 3-1998م، ص8.

[112] للمزيد انظر: أوهام حول الحداثة: د. وليد قصاب، مجلة العقيق - نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي – السعودية، المجلد الخامس، العدد التاسع والعاشر، 1416هـ، ص 12-20.

[113] للمزيد انظر: مجلة حضارة الإسلام: د. محمد صالح عبد القادر، العدد الثامن، السنة الثالثة، ص84-91.

الصحيحة الثابتة الموروثة من أصولنا العربية والإسلامية، وقد عبّر هؤلاء الأدباء والشعراء الحداثيون ـ **من خلال هذا الاتجاه** ـ عن قضايا العصر والمجتمع، فهم يسيرون على نهج الدين والأخلاق؛ وينطلقون من مبدأ **"أن الحكمة ضالة المؤمن"**؛ ومن ثم فإن إغناء التجربة الشخصية بتجارب الآخرين قوة معنوية، وليس من الحكمة أن نغفل عنها، فنحن محكومون بعقيدتنا أولاً، وبواقع العصر ثانيًا؛ **(ومن ثم)** لا بد أن تتعامل مع الآداب الأخرى، **ونكون في هذا أمام أمر من اثنين**: إما أن نتعامل معها على بصيرة من أمرنا، ونقف أمامها مزودين بحكمة الدين، وبتجاربنا الواسعة، فنأخذ ما نريد، ونعرض عما لا نريد، **وإما أن ندفن رؤوسنا في الرمال، نرفض كالأطفال، أو نترك الأمور تجري على عواهنها، أيا كانت النتائج والعواقب "**(114).

ومن الجدير بالذكر ينوّه الباحث ـ **هنا** ـ إلى أن الشعر ـ **بصفة خاصة** ـ والنقد ـ **بصفة عامة** ـ ما هو إلا انعكاس لطبيعة الحياة في شتى جوانبها الحياتية: **سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية وعلمية**، وإلى أن رؤيته هذه، لا تنطلق من أية اتجاهات أيدلوجية نقدية مع أو ضد أحد، شرقية كانت أم غربية، وإنما تنطلق رؤيته من الوعي بقيمة الأفكار التي **تنتجها حركة الصراع القائم بين مختلف الاتجاهات والتوجهات النقدية**، وكذلك حركة **الصراع الأزلي القائم بين القديم والجديد**، وبين الجيد والرديء، وبين الحسن والقبيح، وبين ما هو غث وما هو ثمين، وبين مختلف الاتجاهات والتوجهات النقدية المتنوعة في حيادية تامة، دون التعصب لفكر على حساب فكر، أو لرأي على حساب آخر، للوصول بالبحث العلمي القائم على حرية الطرح وحيادية التناول التي تؤدي في النهاية إلى إثبات الحقائق، وترسيخها في العقول، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي رسخت في الأذهان، واستقرت في عقول المغالين المتشددين، حتى أنها لم تترك ـ لغيرها ـ فرصة في الوجود؛ ومن ثم يكون تصحيح هذه المفاهيم ـ من وجهة نظر الباحث ـ قيمة، تضاف لفوائد البحث العلمي.

(المبحث الرابع)
(إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ عَلَى مُسْتَوَى الْفَنّ)

إننا إذا أردنا أن نرسم (ملامح تجربة شعر الحداثة بين الدائرة والخروج على مستوى الفن) من منظور جديد ـ فإنه لا بد لنا من أن نناقش بعض القضايا التي أفاض فيها النقاد حول ذلك الشعر؛ ونطبق عليه النظريات النقدية الحديثة التي لها أصول في تراثنا النقدي العربي القديم، ونجسد ما يدور حوله العنوان من (الدائرة والخروج)، فالنظريات النقدية القديمة أو الحديثة تقترب بأفكارها وبتوجهاتها من دائرة الأبعاد الثلاثة: (الأخلاقي، والديني، والفني)، وأغلبها تؤكد ضرورة انطلاق الفن من منطلقات فكرية أو فلسفية أو

(114) مذاهب الأدب الغربي (رؤية إسلامية): د. عبد الباسط بدر، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية 1424هـ - 2003م، صـ 13.

دينية (أيدلوجية) معينة، غير أنها لا تغفل كذلك البعد الفني والجمالي؛ ومن ثم يجمع الأدباء والشعراء ـ من هذا المنطلق ـ في أدبهم بين المتعة والمنفعة.

وهذا الطرح لهذه الآراء والأفكار؛ يفرض علينا الكثير من التساؤلات التي تمهد لنا حول مناقشة إشكالية شعر الحداثة بين الدائرة والخروج على مستوى الفن، وهذه الأسئلة تدور في أذهان الكثيرين ممن يقرءون العنوان منذ الوهلة الأولى، منها على سبيل المثال:

هل اتسم **شعر الحداثة في ثوبه الجديد** في الآونة الأخيرة بالتأرجح المتباين بين **الدائرة والخروج** على مستوى الفن متمثلا في تلك الأشكال الشعرية الجديدة (**قصيدة التفعيلة ـ قصيدة النثر**)؟

أ كانت **حركة شعر الحداثة**، تدور في فلك دائرة الأصول والجذور والأفكار العربية الأصيلة؟!

أ كانت **أشكال قصائد شعراء الحداثة (قصيدة التفعيلة ـ قصيدة النثر)**، تستوعب مضامين تظهر فيها روح الإسلام وقيمه وتوجهاته أم أنها عصفت بالثوابت، وخرجت عن المألوف، في أغلب الأوقات، وحاربت الأصول والمعتقدات؟!

أ كان **الشكل التقليدي القديم حكرًا على مناقشة قضايا الإسلام واستيعاب مضامينه** وقيمه وتوجهاته المتعددة، أم أن هناك من عبَّروا بهذا الشكل التقليدي عن موضوعات ومضامين بعيدة كل البعد [115] عن روح الإسلام بتوجهاته وقيمه ومضامينه المعتدلة المتوازنة؟!

ألم تكن هذه **الأغراض والموضوعات المنافية لروح الإسلام**، تصب في قالب تقليدي؟!

ألم يكن **الجاهليون يستخدمون هذا الشكل** الذي يعده بعض المتعصبين للقديم الشكل الوحيد الذي يصلح أن نعبر من خلاله عن كل القضايا والرؤى الإسلامية، مع ضرورة العلم أنه قد احتوى على مضامين منافية لروح الإسلام، ومنافية لقيمه ولتعاليمه من ذي قبل؟!

و(**هل تصلح الأشكال الشعرية التقليدية للقصيدة القديمة** على مر العصور لاستيعاب كل **القضايا المعاصرة والقيم الأخلاقية والتوجهات الإسلامية في جميع العصور الماضية والحاضرة؟!**)

والسؤال الأخير الذي يطرحه الباحث بعد هذه المطارحات الفكرية السابقة؛ هو: (**ماذا يجب أن يكون عليه شكل الشعر مستقبلا؟!**)

هذه الأمور جميعها؛ دفعت الباحث إلى طرح هذه الأسئلة السابقة على الأذهان، **وطرح أسئلة أخرى** تخدم مستقبل الشعر العربي الحديث كذلك، فالأمر لا يقتصر على مجرد مناقشة قضايا شعر الحداثة، وتحليل موضوعاته فقط، بل يتعدى هذا إلى طرح الكثير من الأسئلة حول القديم للاستفادة منه في تأصيل الجديد، وهذا **يؤصل لإشكالية الدائرة والخروج في شعر الحداثة** على مستوى الفن.

وستظل هذه الأسئلة وغيرها قائمة؛ حتى يقوم الباحث بعرض تفاصيل ما دار من جدل ومناقشات ومطارحات بين النقاد في هذا الشأن في **موضوعية تامة وحيادية منقطعة النظير**؛ ثم يترك الحكم في النهاية للمنصفين من القرَّاء، وذلك بعد المناقشة المستفيضة، وعرض الأدلة والبراهين على صدق تلك الفرضيات التي افترضها الباحث في ثنايا بحثه.

---

[115] **من هذه الأغراض**: الغزل الصريح الفاضح للإناث ـ مثلا ـ والتغزُّل بالذكور، ووصف الخمر، والهجاء المقذع، والفخر بالباطل، والمدح المتملق، **وغيرها من الأغراض والموضوعات التي يأباها الإسلام، وترفضها العقول السوية**.

ويرى الباحث أنه عند نقدنا **للأدب** ـ بصفة عامة ـ **ولشعر الحداثة** ـ بصفة خاصة ـ في هذا العصر، لا بد أن نخضعه لمقياسين: **"مقياس إسلامي**، يأخذ أصوله من التصور الشامل للكون والحياة والإنسان، وينطلق كذلك من كتاب الله وسنة رسوله(ε)، و**مقياس فني**، يستقي أصوله من اللغة العربية وبلاغتها وسحرها الأخَّاذ"[116]

وعندما نحاول رصد وجهات النظر حول (**إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ بَيْنَ الدَّائِرَةِ وَالْخُرُوجِ عَلَى مُسْتَوَى الْفن)**؛ وننقب ـ **عمومًا** ـ في الخلفيات الثقافية والمعرفية المتحكمة في توجيه الفن الشعري **على مدار تاريخ النقد العربيكله؛** فسنجد أن هناك نظريتين، كانتا تتباريان دائمًا؛ وهما: **نظرية (الفن للفن)** ونظرية (**الفن للمجتمع**)، فلم تكن هاتان النظريتان جديدتين كل الجدة، بل قال بأفكارهما النقاد القدماء، وسيتضح هذا عندما نرصد وجهات النظر والرؤى والمنطلقات الفكرية لهؤلاء النقاد قديمًا وحديثًا؛ وذلك لتجسيد حركة ذلك **الصراع الأبدي** القائم بين الجانبين: (**الفني والموضوعي**) على مدار تاريخ الأدب العربي كله، وكذلك تصنيف كل الآراء التي تدخل في نطاق **حدود الدائرة الفنية** ، وكذلك الآراء الرافضة لها، بل تفنيدها، ومناقشتها، وتحليلها؛ للوصول في النهاية إلى الحقيقة، ويعد هذا مدخلًا مهمًا لدراسة**إِشْكَالِيَّةُ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ ـ على مستوى الفن.**

ويعد**"تيوفَل جوتيه" ـ حديثا** ـ هو أول من دعا إلى نظرية **الفن للفن في أوروبا، وغلَّبها على نظرية الفن للمجتمع؛**[117]حيث يرى أن غاية الفن هو أن يكون جميلا، يهدف إلى المتعة الجمالية الخالصة، أي أنه حر، لا غاية وراءه سوى اللذة الفنية، دون النظر إلى منطلقاته من أفكار وفلسفات أو أخلاق أو قيم اجتماعية أخرى، فقد دعا إلى الاهتمام بالصورة والشكل على حساب الاهتمام بالمضمون والمحتوى، ودعا إلى تخليص الفن من القيود، وتحريره من الاستغلال الجماعي والفردي، فالجمال ـ **من وجهة نظره ـ** هو وحده الغاية التي لا تشترك معها غاية؛ **حيث يثير في نفس المتلقي سعادة ونشوة وإمتاعًا،** لا تحتاج إلى ما يسمى بالمنفعة بجانبها، هذا هو أهم الأشياء عند أصحابها[118].

وهذا الكلام مردود على صاحبه، حيث إن المتعة الخالية من الفائدة الاجتماعية والبعد الأخلاقي والديني، لا قيمة لها، **وإنما قيمتها تكمن في توثيق الارتباط بين هذه المتعة والأبعاد الأخلاقية والدينية والاجتماعية الأخرى**، حيث تقوى تلك المتعة المستمدة من الناحية الجمالية بقوة المنفعة المستمدة من هذه الأبعاد، وكذلك تضعف بضعفها.

إن تطور الشكل الشعري واللغة الشعرية، يعد فعلًا طبيعيا، تتطلبه دورة الحياة على مر العصور،وفي هذا الصدد يقول الدكتور **يحي الجبوري**:" لقد تحرر معظم الشعراء ... من الالتزام بكثير **من تقاليد الجاهليين في أشعارهم كمخاطبة الاثنين مثلا، وهو التقليد الذي حرص الشعراء الجاهليون على إيراده في أشعارهم،** لطبيعة حياتهم المحتاجة إلى الأصحاب والرفاق،

---

[116]نحو أدب إسلامي معاصر: د. أسامة يوسف شهاب، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى 1405هـ / 1985م، صـ9.

[117] للمزيد انظر: النقد الأدبي الحديث (أصوله واتجاهاته): د. أحمد كمال زكي: دار النهضة العربية، بيروت، ص 76.

[118]للمزيد انظر: النقد الأدبي الحديث (قضاياه ومذاهبه الفنية): د. عبير عبد الصادق، الطبعة الأولى، 1436ه/ 2015 م، ص93.

كما تحرروا **في الحديث عن تجربة الناقة والجمل والصحراء والرحلة**، وما يستتبعها من ألفاظ تعبر عن تلك الرحلة، تلك التجارب التي كان يحفل بها الشعر الجاهلي، واستبدلوا بها تجارب جديدة، اقتضتها طبيعة حياتهم الجديدة، وتحرر معظم الشعراء من المقدمات الطللية أو الغزلية التقليدية، واستبدلوا بها أحيانًا مقدمات دينية جديدة، ظهرت بدايتها في العصر الإسلامي، ثم شاعت فيما بعد في العصر الأموي"، **واستمر التطور على هذه الشاكلة ـ بعد ذلك ـ جيلا بعد جيل.**(119)

فنحن لا نستطيع أن ننكر الصلة الوثيقة بين **الشكل و المضمون**، ولن نخوض في تفاصيل ما دار، ويدور حول مناسبة الشكل للمضمون، وإنما ننوه هنا إلى ما قيل عن أن أي مضمون معين، يتطلب شكلًا مناسبًا، يعبر من خلاله هذا الشاعر أو ذاك، مع ضرورة العلم بأنه ليس **الشكل التقليدي** ـ وحده ـ **حكرًا على مناقشة قضايا الإسلام** وتوجهاته، وكذلك ليس الشكل الحداثي منافيًا للمضامين الإسلامية والتوجهات المتوازنة والفضائل النبيلة التي تصب فيه، ولهذا نعتقد أن باب التجديد في الأشكال باق، ما بقيت الحياة، ولا قيد على هذا التجديد إلا فيما يتعلق بضرورة الحفاظ على أصالة اللغة العربية وقواعدها، ولا شك في أن ثراء اللغة العربية، وإمكاناتها الواسعة وضوابط قواعدها المذهلة، في الصرف والاشتقاق وغيرهما، تجعلها قادرة تمامًا على تقبل الأشكال الجديدة وتطورها ...، فالأشكال الفنية للعمل الأدبي ميراث عام مشترك، والإبداعات الجديدة والمتنوعة من المستحيل أن تُرفَض؛ متى ثبت جدواها (120).

وهذا الأمر يطرح علينا تساؤلا: **هل ثمة تناقض بين الحداثة والأصالة؟ والإجابة عن هذا السؤال؛** يفرضها علينا الواقع، حيث إن الأصالة ترتبط في أذهان كثيرين بالقديم، في حين ترتبط الحداثة بالجديد، ولكن الحداثة راهنة، إذ إن كل ما هو حديث، لا بد أن يغدو قديمًا بعد حين، فهل يعد كل ما هو قديم أصيلًا حقًا؟ من ذا الذي يستطيع أن يغمط حق الريادة الحداثية لقاص؛ مثل: (**إد غار ألن بو**)، أو شاعر مثل: (**ت. س. إليوت**)، رغم مرور عشرات السنين؟ وهناك سؤال آخر: أ خلدت أعمال (**شكسبير**) يا ترى؛ لأنه مؤلف أصيل، أم لأنه رائد من رواد الحداثة؟

والإجابة عن هذه الأسئلة تكمن في حقيقة أن **الأصالة والحداثة لا يتناقضان**، ومن خلال تفكير عميق، نلاحظ أن الحداثة، تعطى سمة الخلود عندما يتمتع كاتبها بسمة الأصالة أيضا، **فالأصالة تتميز من التقليد، عندما تتسم بسمة الحداثة**، وذلك هو الفارق بين الاتباع والإبداع؛ **ولذلك لا نرى تناقضًا بين الحداثة والأصالة**، وإنما نرى توازنًا وتكاملًا، فإذا أفلتت الحداثة، بقيت بعض أعمالها التي تتميز بالأصالة، وذهب الزبد من هذه الأعمال جفاء، وإذا اضمحلت الأصالة، بفعل التشابه بين الإبداعات، وكثرة التقليد، وعدم الإبداع؛ فإن الحداثة تظل العامل المميز لنتاج الأديب أو الفنان؛ لأنها تقوم على التجريب الذي قد يصح، ويبدع

(119)للمزيد حول قضية تطور الشعر العربي على مر العصور انظر: الإسلام والشعر: د. يحيى الجبوري، مكتبة النهضة، بغداد، 1964م، ص 240.

(120) للمزيد انظر: العلاقة بين الدين والشعر في النقد العربي: د. محمد الواسطي المغرب، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العدد الواحد والأربعون، صـ 45.

أدبًا أصيلًا في كثير من الأحيان، غير أنه إذا اجتمعت الأصالة والحداثة معًا عند كاتب ما؛ فإن الحصاد يكون إبداعًا خالدًا، لا يبهت، ولا يضمحل بفعل عوامل الزمن[121].

فالشكل ما هو إلا إطار من الممكن أن يصب فيه الشاعر إبداعه، ويبرز من خلاله محتوى أو رؤية فنية موضوعية، تتوافق مع الإسلام كدين، سواء أ كان هذا الشكل عموديًا أو تفعيليًا، أو ما يطلق عليه الشعر المنثور، أو قصيدة النثر، فلكل شاعر وشائجه المختلفة بالإسلام، ولكل شاعر بنيته الشعرية الخاصة به؛ ولذا تعددت طرق بناء القصيدة، وأصبح لكل شاعر معاصر معجمه اللغوي الخاص به الذي يستمد منه ألفاظه، فمنهم من يستمد ألفاظه من معين غير إسلامي، ومنهم من يستمد ألفاظه من معين إسلامي، يتمثل في القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ε، وأقوال الصحابة (**رضوان الله عليهم**)، فيستخدم في معجمه الشعري تلك الألفاظ التي لها إيحاءات إسلامية، وهي إيحاءات، تسهم بشكل واضح في تشكيل الرؤية الإسلامية لدى هذا الشاعر أو ذاك، **وهذا يؤكد الملمح الإسلامي، أو النزعة الإسلامية التي تريد صفحات البحث أن تتبناها، وتثبتها لدى بعض شعراء الحداثة، وتدافع عن بعضهم من المتوازنين الذين لم تتعد حداثتهم الشكل فقط،** ولكن مضامين قصائدهم، تتضمن تلك الرؤية الإسلامية، وتدور في فلك دائرة الأعراف والقيم والتقاليد، وليس نسفها كلية **ـ كما يدعي أدونيس وأقرانه ـ** في أكثر من موضع، بل بالانطلاق منها، والتعبير عنها وبها.

فغالبا ما نجد **"أدونيس"** يوازن بين ماهية الشعر الحداثي **(الجديد)** وماهية الشعر **(القديم)**، وفى هذه الموازنة تتجلى المحاولات التأسيسية الأولى لمشروع الرؤية الشعرية الحداثية، فالشعر القديم يأخذ في كتاباته النظرية عدة أسماء: **(التنميط، والكتابة المحافظة، والقصيدة المنغلقة)**، وفى مقابل ذلك نجده يعطي تسميات متنوعة للشعر الحداثي: **(الكتابة والتغيير والقصيدة المنفتحة)**، فالقصيدة القديمة ـ عنده ـ **لها شكل مسيطر، وقواعد عروضية مهيمنة، ومسيطرة من خلال وزن وقافية، وكذلك قواعد لغوية مسيطرة في نحوها وصرفها، وشكل وحيد مهيمن على جميع القصائد ذات الشطرتين،** أما القصيدة الحداثية (**عنده**) فلها أشكال متعددة ومتنوعة- لا حصر لها ـ وموسيقاها تتعدد إيقاعاتها النابعة من داخل القصيدة، فتبرز من **حسن اختيار الألفاظ والكلمات، ومن الاتكاء على النبر والتنوين والجناس والمقابلة والطباق،** وكذلك الانزياح عن طريق **الخروج** عن القواعد اللغوية المسيطرة في نحوها وصرفها لتجديد اللغة، وبعثها من جديد[122].

ومن بين توجيهات **"أدونيس"** كذلك لأصحاب القصيدة الحداثية؛ **ضرورة الانعتاق من الشكل التقليدي للقصيدة العربية العمودية،** بل الانعتاق من أسر موضوعاتها المقيدة الجاسمة على صدورنا منذ زمن بعيد ـ **على حد تعبيره** ـ وكذلك **الخروج** عن مضامين مقيدة، وذلك **بالانعتاق من سيطرة الدين والأعراف والقيم والتقاليد على موضوعات القصائد،** والانفتاح على موضوعات جديدة؛ **حتى لو كانت تخاطب الغرائز والشهوات، وتهدم الدين والقيم والعادات والتقاليد الموروثة والأعراف السائدة** [123]

---

[121]للمزيد انظر: حداثة وأصالة: د. رياض عصمت، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1434ه/ 2013م، ص9 -10

[122]للمزيد انظر: آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس، دراسة في المنطلقات والأصول والمفاهيم: د. بشير تاوريريت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1430ه/ 2009 م، ص 19.

[123]للمزيد انظر: السابق نفسه، ص 19.

وفي هذا الصدد أخالف ما يروج له **"أدونيس"الأب الروحي للحداثة؛** فإذا كان بعض الشعراء الحداثيين لم يرفضوا الكتابة على نسق الشعر(**التفعيلي أو السطري**)، وأبدعوا من خلال هذا الشكل؛ فإنهم تمسكوا**بالمضامين الإسلامية وبأعراف المجتمع وبعاداته، وبقيم الدين وبتعاليمه،** فثمة قصائد من شعر التفعيلة، ومن الشعر المنثور؛ لا نجد فيها تجديدًا إلا في الشكل؛ أما المضمون فخلو من أي تجديد؛ حيث أبقى أصحابه على قيم **الدين والعادات والتقاليد الموروثة والأعراف السائدة**.

وثمة قصائد من هذا الشعر الحداثي، حلَّق مبدعوها في مدارات الفن، وأتوا بالرائق المبدع؛ **وذلك لأنهم احتفلوا بتراث العرب وغيرهم، ووظفوه في قصائدهم توظيفًا واعيًا موحيًا،** فضلاً عما أفادوه من تقنيات حديثة من قراءاتهم في آداب الغرب، وأنتجوا لنا شعرًا إسلاميًا بديعًا، فالشاعر البارع ـ **إذن** ـ هو الذي يحقق قدرًا من التناسب بين المضامين وسائر أجزاء القصيدة من ناحية النظم أو الشكل؛ **فيضمن ألا يكون المضمون غريبًا عن قيم المجتمع وتوجهاته؛** وكذلك يختار الشكل المناسب الذي يصب فيه تلك المضامين، فالمضمون هذا هو الذي يبلور معيارًا بعينه، **نحكم به على جودة القصيدة أو رداءتها،** وذلك عندما تكون ذات أبعاد دلالية، لا يمكن أن تكتسبها القصيدة؛ أيًا ما كان هذا المظهر الفني أو الشكل الشعري الذي ستظهر فيه [124].

فهناك الكثير من مظاهر الحداثة في بنية القصيدة الحداثية، تتجسد في (**قصيدة التفعيلة ـ قصيدة النثر**)، **ومنها على سبيل المثال**: حداثة الموسيقا الداخلية والخارجية، والتجريب والمغامرة، وحداثة الصورة الشعرية، والإكثار من استخدام الأسطورة، وحداثة اللغة الشعرية، وظاهرة الغموض، وظاهرة الرمز، والتوظيف الدرامي، والتناص، وحداثة الفضاء الطباعي، والعلاقة بالآخر في مستوى الرؤية، وتفاعل الوعي بالذات من خلال العلاقة بالتراث والمجتمع، وغيرها من مظاهر التجديد في القصيدة الحداثية الجديدة. [125]

وإحقاقا للحق، يرى الباحث أن (**قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر**) قد استوعبتا مضامين جديدة، واستجابت لمشكلات العصر، ولم يعد المضمون منفصلًا عن الشكل، بل أصبحت الرؤية الشعرية، تتشكل عبر التفاصيل البنائية للقصيدة، فوظف الشعراء الحداثيون الأسطورة، واستدعوا الشخصيات التراثية، وعمدوا إلى الرموز، واهتموا بالشكلانية المحضة؛ **فوظفوا بنط الكتابة، وأشكال الحروف، وتوزيع المفردات، والجمل، والأشطر الشعرية، وعلامات الترقيم، وتفاوتت لغتها بين التكثيف المجازي واللغة الغامضة المشحونة بالدلالة، ولغة الحياة اليومية؛** فنجد مثلا الشاعر" **صلاح عبد الصبور**" يميز أشعاره لغة الحياة اليومية تلك، وكذلك يعد **"محمد عفيفي مطر"** مثالًا على تلك اللغة الغامضة المبهمة والمعقدة ذات التكثيف المجازي المشحونة بالدلالات العميقة [126]

---

[124]للمزيد انظر: رؤية إسلامية في الأدب والثقافة: د. أحمد محمود مبارك، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2000مـ، صـ16.

[125]للمزيد انظر: مظاهر الحداثة في نقد الشعر السعودي: د. حسين المناصرة، كتاب ملتقى النقد الأدبي السعودي في المملكة العربية السعودية، ص336 –337.

[126]للمزيد انظر: الادب العربي الحديث، مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه ونماذج منه: د. محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، 1426ه / 2005م، ص 236.

وفي هذا الصدد يرى **الدكتور"حسن الأمراني""**أن الأزمة في اللغة الشعرية للشعراء المعاصرين **تتمثل في مظهرين،** الأول منها: **اللغة الغامضة** التي تصل لدرجة الإيهام، والثاني منها: **هو التدني باستعمال اللغة المسفة المبتذلة،** والفحش في القول، والتعهر في الكلام، ثم يطلب من الشعراء الإسلاميين المعاصرين أن يكونوا يقظين، فلا ينساقوا وراء معاصرة زائفة، ولا يقبعوا في الوقت ذاته داخل أصالة سطحية لا تتوغل في الأعماق، وأن يوطنوا أنفسهم على تقديم بديل شعري، يستفيد من منجزات الشعر المعاصر، ويبرأ من أدوائه" [127].

ولكي يحقق أصحاب الحداثة الشعرية الذين يندرجون تحت ما يسمى بمصطلح **الخروج** مآربهم؛ أخذوا في التبرؤ من اللغة العربية والمطالبة بإلغائها؛ وذلك لكي تتحقق لديهم أول خطوة في هذا المضمار، **فقد أخذوا على أنفسهم؛ لكي يصلوا إلى العالم المغلق، وإلى الغموض للقصيدة الجديدة في نظرهم أن يبرأوا من التصور القديم للغة،** فلا يقف أحد منهم عند الشعر نصًا، بل يقف أمام لغة الشعر نفسها، وبذلك تكون أهداف الغموض في النقد الحداثي؛ **هو تحقيق الثورة على اللغة،** وهذا الغموض **يرونه تجليا بعد الخفاء،** وقد سمى ذلك منظر النقد الحداثي، **كمال أبو ديب الغموض"جدلية الخفاء والتجلي"،** فالنص الشعري قصيدة أو مقطوعة أو منظومة، يتسم ـ عندهم ـ بالغموض. **وهذا الغموض يعاد فيه عندهم تشكيل صورة العالم**[128] غير أن هذا الغموض المفرط والتعمية المظلمة التي يتحدث عنها بعض نقاد الحداثة؛ لا تأخذ بيد الفن إلى الإبداع بهذه الطريقة المفرطة؛ بل تفضي به إلى التهلكة؛ لأنها تتكلف الضبابية والغموض والغربة والتفكك [129].

فالابتذال والعامية، والشذوذ اللغوي، وما يشوه الفصحى، وأسلوبها البليغ، يبعد اللغة العربية عن لغة القرآن الكريم، والسنة الشريفة المطهرة، **ولذلك يكون التوسط في جانب اللغة مهم وضروري،** فلا التقعر والتحذلق والتفذلك مطلوب، **وكذلك اتباع نهج الركاكة والابتذال والإسفاف مرفوض،** ولكن التوسط يكون باستخدام اللغة الرائقة السلسة العذبة المفهومة الرقراقة التي نزل بها القرآن الكريم، واعتمدتها السنة المطهرة، يقول تعالى: **ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ**[الحِجر:9] [130]

وقد وضع **عمر بن الخطابﷺ** معيارا، يقوم عليه الشعر، و يصلح على أساسه الحكم؛ فنظر إلى الألفاظ والأساليب والمعاني والمنهج، فوصف ألفاظ زهير ـ مثلا ـ بالسماحة والألفة، وأسلوبه بالوضوح والجمال والسلاسة، والخلو من التعقيد والتراكب والتوعر، ومعانيه بالصحة والصدق، ومنهجه بالالتزام الحق، والصدق، والقصد، والتباعد من

---

[127] الشكل في القصيدة وتحديات الشعراء الإسلاميين: د. حسن الأمراني، مجلة الأدب الإسلامي، العدد التاسع عشر، المجلد الخامس، سنة1419 هـ، ص11- 13.

[128]للمزيد انظر: نظريات النقد الحداثي في الميزان: د. محمود حسن زيني، بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين المنعقد في مكة المكرمة في المدة من 5 – 7 شعبان 1419ه، الجزء الثاني 1420ه / 2000م، ص355.

[129]للمزيد انظر: الحداثة: مالكوم براديري، وجيمس ماكفارلن، ترجمة: مؤيد حسين فوزي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1978م، ص26-27.

[130]للمزيد انظر: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د. علي علي صبح، مطبعة الجريسي، القاهرة 1418هـ/ 1998م، صـ166.

الإفراط، والغلو، فنظرته موضوعية تقوم على الحذق في الصياغة الشعرية التي تجافي الحشو والزيادة التي تعيب الكلام، وتنأى به عن المبالغة والتكلف مع صحة المضمون وصدقه، بحيث يتعاطف مع المنطق، ولا يبتعد عن الواقع.[131]

فالنقاد القدماء والمحدثون المتوازنون؛ لم يحددوا شكلًا معينًا للتعبير، بل إن كل ما قالوه يكمن في ضرورة الاهتمام بالمضمون، أيًا كان الشكل الذي يصب فيه، سواء أكان الشكل قديمًا أو جديدًا، فليس لقدم العهد يفضل القائل، كما أنه ليس لحداثة العهد يهتضم المصيب، وهذا المعيار الموضوعي في الحكم على القديم والجديد؛ قد اقترحه ـ كذلك ـ **"المبرد" و"ابن طبا طبا" و"ابن قتيبة "**، وغيرهم من القدماء الذين بيَّنوا موقفهم من كل جديد بموضوعية وحيادية تامة، تبتعد عن التعصب والمغالاة للقديم أو للجديد.

ومن هذا المنطلق الفكري كذلك؛ يكون للجديد طابع سحري في النفوس؛ ولذلك يستخدم في معرض الترويج للأفكار؛ حتى لو كانت غير صحيحة، فأنت بمجرد وصفك للفكرة أنها قديمة، وأخرى بأنها جديدة، تكون قد أعطيت حكمًا ـ مسبقًا ـ بالصواب للفكرة الجديدة، بينما واقع الأمر ليس كذلك، فكم من فكرة جديدة، حملت جرثومة فنائها وفسادها معها؛ وقد يكون النقيض صحيحًا، المهم أن يكون مقياس الصواب والخطأ في الحكم على الأمور هو الموضوعية والعلمية والواقعية والحيادية، وليس في القدم أو الجدة في حد ذاتها، كما يفعل المروجون في كل زمان ومكان[132].

ومن ثم يرى الباحث أنه ليس كل ما هو جديد مرفوضًا كلية على أساس جدته، وليس كل ما هو قديم مقبولًا كلية على أساس قدمه؛ كما أن الشكل العمودي ليس وحده حكرًا على مناقشة قضايا الإسلام والذود عنها؛ والدليل على ذلك أنه قد استوعب ـ من قبل ـ المضامين المنافية لروح الإسلام، كما أن الشكل الحداثي؛ ليس منافيًا للعقيدة والدين، وليس مصطدمًا مع الثوابت، فهو قادر كغيره من الأشكال الأدبية الأخرى على استيعاب قضايا الإسلام ومناقشتها والدفاع عنها بفنية واقتدار غير مسبوقين، وذلك لما يحتويه من تقنيات فنية عالية، تثري المضامين بكل أنواعها، وتعمق القيم بشتى توجهاتها، وتضفي على المعاني عمقًا وتكثيفًا وتنوعًا؛ وهذا يمنح الشعر العربي جمالًا في الشكل، وثراء في المضمون، وفرصة أفضل للتعبير عن قضايا العصر ومستجداته[133]، فقد حفل شعر الحداثة بتوظيفه للرموز التاريخية، والتقنع بقناعها، واستلهامها لمحاكمة نقائص الواقع المعاصر، بوصفه رمزًا من

---

[131]للمزيد انظر: دراسات في النقد الأدبي القديم: د. السيد أحمد عمارة، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، 1428هـ/2007م، ص 83.

[132]للمزيد انظر: في مفهوم الحداثة: د. شلتاغ عبود. مجلة الأدب الإسلامي، المجلد التاسع، العدد الثالث والثلاثون 1423هـ/2002م، ص -55.

[133]ويختلف الباحث في هذا الشأن مع الدكتور**"حسن بن فهد الهويمل"** الذي أورد في كتابه النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، بعض نتف عن **شعراء الحداثة** في ثنايا كتابه، وحكم عليهم في النهاية بقوله:"أما من جرفهم تيار الحداثة، دون تمثل سليم، فقد عشقوا الغموض، وأتاحوا للمفردة العامية أن تتسرب إلى لغتهم، كما ذهبوا يدعون إلى واقعية اللغة، وتفجيرها، ...ولم يكن لأولئك شأن يذكر في المضامين"، وللمزيد حول هذا الأمر؛ انظر كتاب: **النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر**، دراسة فنية موضوعية، د. حسن بن فهد الهويمل، الرياض "طبعة 1419هـ/ 1999م، ص 640 .

الرموز؛ فأصبح استدعاء الشخصيات والرموز، يسهم اسهامًا كبيرًا في اثراء النص وغناه [134].

وقد "أدرك عدد كبير من الشعراء هذا الأمر، فكانوا إلى جانب تمسكهم بالشكل العمودي، (**غير رافضين**) للكتابة على نسق الشعر (**التفعيلي أو السطري**)، بل أبدعوا من خلال هذا الشكل شعرًا متوازنًا رائعًا، فشعر التفعيلة يستمد تفعيلاته من بحور الشعر العربي، فهو ليس خارجًا عن عروض الشعر التقليدي، وهو لم ينبذ القافية نبذًا مطلقًا، ولم يرفضها كلية، وإنما وظفها كوسيلة إيقاعية، فلكل شاعر الحرية في أن يكتب وفق الشكل الذي يروق له، ووفق ما يكون أكثر اتفاقًا وتآزرًا مع قدراته وموهبته وطاقته الفنية وذائقته الخاصة، والهدف من هذا الطرح يرمي إلى ضرورة أن يغير بعض الشعراء والنقاد ـ على مر العصور ـ نظرتهم الجامعة المانعة الحادة ... التي ترى في كل خروج على الشكل العمودي للشعر خروجًا على الشعر في نهجه الإسلامي[135].

ومما سبق يتضح لنا أنه **ليس كما يقال إن الحداثيين ـ جميعا ـ يعيشون رفضا للدين وقطيعة مع التراث**، فمن الشعراء الحداثيين من تمثل شعره نزوعًا إسلاميًا وتوجهًا دينيًا، يناضل به في صد هذا المد الجارف من الأفكار الغربية المتلاحقة، والتوجهات الدخيلة المتواترة، فحداثة هؤلاء متوازنة، لم تتعد سوى الشكل فقط، وهذه الحداثة الشكلية، لا تقلل من قيمة شعرهم، بل على النقيض، تثريه وتقويه **وتمنحه أفضل السبل والوسائل للتعبير؛ وذلك لمايتمتع به الشكل الحداثي من لغة رصينة، وبناء متماسك، ونزعة درامية مثيرة، وإيقاع موسيقي مطرب أخَّاذ**؛ تشترك جميع عناصره في إثراء النص الأدبي، وتجعله أكثر قدرة على التعبير المتسارع المتلاحق الملائم لطبيعة العصر من ذلك الشكل الشعري التقليدي ذي الطبيعة الرتيبة البطيئة التي لا تتناسب مع طبيعة هذا العصر المتسارع الرؤى والأفكار والأحداث والتطلعات، **مع ضرورة التنويه هنا إلى ضرورة الاعتراف بكل الأشكال الشعرية، وضرورة وجودها جنبًا إلى جنب معًا**، تعزز وجودها، وتؤكده تحت ما يسمى بثقافة قبول الآخر في هذا العصر المتناقض الرؤى والتحديات.

ومن ثم نستطيع القول إن(**قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر**) خرجت عن حدود **الدائرة** من حيث الشكل، وطبيعة الفن أو القالب الذي تصب فيه المضامين، وبالإضافة إلى ذلك ليست حركة الشعر الحداثي كلها خارجة عن حدود **الدائرة** من حيث المضمون، فالواقع الأدبي يثبت أن كثيرًا من الإبداعات الشعرية العربية الحداثية التي تتخذ من الشكل التفعيلي وقصيدة النثر إطارًا لها، تعد من القصائد ذات المستوى الرفيع المتألق في شكلها الفني، وأن بعضها يحتوي من المشاعر والأفكار والقيم والتقاليد والأعراف والرؤى الإسلامية المضيئة؛ وهذا ما يجعلنا نسلم بحقيقة دورانها داخل حدود **الدائرة**، وإن كنا نعترف بأن هناك تجارب حداثية، قد خرجت عن تلك الحدود، وانطوت على رؤية وأفكار وتراكيب لغوية وأسطورية مضللة، تنأى به عن التصور الديني والقيمي والأخلاقي لذلك المجتمع العربي والمسلم الذي يضمنا؛ وهذا في حقيقة الأمر ليس ذريعة لوصم حركة الشعر (التفعيلي) كلها **بالخروج** عن **الدائرة**

---

[134]للمزيد انظر: مراجيع وشم (هوامش على دفتر الشاعر الجاهلي): د. عبد الحميد الحسامي، نادي القصيم الأدبي، الطبعة الأولى، 1438ه/ 2017م، ص140.

[135] للمزيد انظر: رؤية إسلامية في الأدب والثقافة: د. أحمد محمود مبارك، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2000مـ، ص15، 16.

من حيث المضمون، بل نقر حقيقة بأنها خارجة عن المألوف وعن حدود دائرة الالتزام الفني من حيث الشكل، مع ضرورة التنويه كذلك على أن هذا الشكل الحداثي؛ لا يتعارض مع تلك المضامين التي تحمل القيم والتوجهات الصحيحة والسليمة للأبعاد الدينية والأخلاقية والاجتماعية.

الخاتمة

وفي نهاية هذه الرحلة الطويلة الممتعة في تلابيب بحث **إشكالية الدائرة والخروج في شعر الحداثة بين الرفض والقبول (قراءة جديدة في التاريخ والموضوع والقضية والفن)**؛ يرجو الباحث أن يكون بدراسته ـ هذه ـ قد سبر أغوار النص، وكشف عن قيمه وخصائصه، وبيَّن أسراره ومراميه، وأبرز معانيه ومبانيه، وأوضح رؤاه ومناحيه، فلله در **نقاد الحداثة على اختلاف توجهاتهم(المنبهر بها منهم والمعارض والمتوازن)** فقد عرّجوا بنا هنا وهناك، وسلكوا بنا مسالك متعرجة في كل ناحية من هذه النواحي التي طرقوها، فقد عرض الباحث عرضًا مستفيضًا لبعض أقوالهم التي ترسم للشعراء ـ **من وجهة نظرهم** ـ المساحة الإبداعية التي يتحركون فيها، والتوجهات الفكرية التي يسلكونها، وكذلك استفاض الباحث بعرض النصوص التراثية والمطارحات النقدية لدى النقاد القدماء والمحدثين على حد سواء؛ **وذلك للتدليل على صدق ما افترضه في بداية بحثه، وأكده**؛ وتبين للباحث بعد كل هذا أنه لابد أن يلم ـ **هنا** ـ بأهم معالم البحث ونتائجه التي توصل إليها، وأهم التوصيات التي يوصي بها؛ **وهذا يعد تقليدًا مهمًا من تقاليد الدراسات والبحوث الأدبية؛ ومن ثم فإن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث تتلخص في الآتي:**

1. **يعد الافتقار إلى المؤلفات التي تكشف اللثام عن إشكالية الحداثة من حيث الرفض أو القبول في المجتمعات المحافظة من أهم الإشكاليات التي تقابلنا**، ويجدر بالباحث ـ **في هذا المقام** ـ أن ينوه إلى أن للكتابة في هذا البحث دوافع قوية أقلقته، وأثارت فكره لتناولها، **منها:** أنه اصطدم بمقولات بعض النقاد المكتوبة منها أو المسموعة أو المرئية التي تناولت **شعراء الحداثة** جميعهم بشيء من الاستهجان أو الاستنكار، **وكأن الحداثيين جمعيهم خرجوا عن الملة، وضلوا عن جادة الصواب**؛ ولم يفرقوا في هذا بين نوعين من الحداثة، يكثر الخلط بينهما في ثقافتنا العربية المعاصرة، **وهما:** حداثة الشكل، وحداثة الفكر، مع ضرورة العلم أن المنطلقات الفكرية الإسلامية، تدعو إلى حرية الفكر والعقيدة، **والدليل على ذلك أننا لم نسمع مطلقًا عن نص ديني**، يحرم التجديد والتطوير للأشكال الأدبية، بل على النقيض تمامًا من كلامهم، فهناك من النصوص الدينية ما يشجع على التطوير والتجديد والتحديث، وبذلك نعيب على بعض النقاد الذين يحكمون على الأشياء قبل فهمها واستيعابها، ويحكمون بالظاهر، **ويرددون أقوالا ما أنزل الله بها من سلطان**، وليس هذا مكانها، وليست هذه مواضع نزولها.

2. **تعد التوطئة للأفكارالسائدة؛ من منطلق النظرة التكاملية الشاملة محاولة جادة في فهم الظواهر الأدبية ووصفهاوتقييمها وتقويمها،** على أساس أن كل الأبعاد الفنية والموضوعية مجتمعة في ثنايا شعر الحداثة؛ تسهم في تشكيل معالم هذا الشعر، وتمثل منطلقالتقويمه، وطرحه طرحًا جديدًا، **نخضعه للمقاييسالموضوعية والفنية التي تسلّم طوعا أو كرها للمنطق والعقل المتوازنين؛** الأمر الذي يتطلب منا **ـنحن النقاد ـ إعادة النظر في الأمور التي أطلق عليها السابقون أحكاما مسبقة،** دون الوعي الكلي بحقيقتها، مع ضرورة إخضاع هذه الأمور للمراجعة وإعادة النظر والقراءة من جديد؛ ومن ثم **فنحن أمام تصور جديد، ومنطلق جديد، ورؤية جديدة، ونظرية غاية في الجدة والطرافة.**

3. **قامت بعض الدراسات النقدية والأدبية من أولها إلى** آخرها، على أساس مهاجمة الحداثة والشعراء الحداثيين **جميعهم ـدون تفريق** ـ ودون النظر بموضوعية إلى كل ما أبدعوه، فكل ما فعله هؤلاء هو أنهم أخذوا نماذج لبعض **شعراء الحداثة، فيها خروج عن المألوف، ومبالغة وشطط في التناول،** واتهموا كل **شعراء الحداثة** بمحاربة الدين، والعصف بالثوابت، والتصادم مع العقيدة، بصورة لا تخفى على أحد؛ **لدرجة أنهم اتهموهم جميعا بالكفر والزندقة،** واستشهدوا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي لا علاقة لها بهذا الموضوع من قريب أو من بعيد؛ ولذلك اصطدم الباحث بمقولات هؤلاء النقاد المكتوبة منها أو المسموعة التي تناولت شعر الحداثة بشيء من الاستهجان والسخرية، بل الإنكار الذي يصل إلى حد تسفيه من يقرُّ به، أو ينطلق من رؤاه وتوجهاته؛ وهذا يعد من قبيل الغلو والتطرف في تعميم الأحكام على **شعراء الحداثة؛** فإن كان بعض الحداثيين؛ قد تطاول على الدين والثوابت، **فهذا لا يمنع أن يكون بعضهم كذلك؛ قد تبنوا القضايا الإسلامية، ودافعوا عنها، كما أن بعضهم متصالحون مع العقيدة، وليسوا مصطدمين معها؛** ولذلك كان لابد من أن يطرح الباحث من خلال مناقشاته الفكرية المتنوعة هذه الشرائح المختلفة للأدباء والنقاد على اختلاف أنواعهم وتوجهاتهم.

4. لابد من تأكيد **ثقافة قبول الآخر،** فإن كنت اختلف مع غيري في الرأي؛ فلا بد من مناقشته؛ حتى نصل في النهايةمعه إلى كلمة سواء؛ حيث إن الجميع يطرح فكره على الساحةالأدبية والنقدية والفكرية، وعلينا نحن أن نقبل الآخر، **ونتعود ثقافة الحواروالمناقشة البنّاءة التي تجعلنا نقبل سوانا، ولا ترفضه منذ البداية،** بحجة أننا الأفضل والأحسن، فإذا كنت أرى في نفسي أنني أفضل من غيري، فغيري يرى أنه أفضل مني، **وبذلك تكون النرجسية وتضخيم الذات من الأمور المرفوضة سلفا،** فإذا أردنا الحوار والمناقشة البنَّاءة والوصول إلى الحقيقة، فعلينا في النهاية أن نحكِّم العقل والمنطق والتفكير؛ حتى نصل جميعًا إلى كلمة سواء، وكذلك إذا أردنا أن ننتقل من القديم إلى الجديد؛ فعلينا أن نحكِّم هذا القديم، على أساس أنه المنطلق الذي ننطلق منه صوب الجديد؛ **وذلك لأنالذي ليس له ماض، لن يكون له حاضر، ولن يكون له مستقبل؛** ولذا كان لابد أن ننتقل من القديم إلى الجديد على أساس عربي أصيل نابع من تراثنا وأصولنا، وليس من ذلك الأساس الغربي الوافد الذي جعله بعض النقاد منطلقا لنا، **ويكون ذلك بإبراز قيمة ما قدّمه النقد العربي القديم لأبنائه من أصحاب النقد الحديث** في شكل الشعر ومضمُونه.

5. **الاعتراف بانطلاق توجهاتنا من رؤية مغايرة لرؤية الغرب ومنطلقاتهم، فللعرب والمسلمين توجههم الخاص بهم النابع من ذواتهم، والحداثة العربية الإسلامية المتوازنة تخالف المنطلقات والتوجهات التي يدعو لها الغرب**؛ حيث إن لدينا أصولا فكرية عربية إسلامية متوازنة في موروث الفكر الثقافي العربي، على الرغم من **الاعتراف الضمني أن بعض الأفكار والمستجدات الحديثة في عالمنا العربي والإسلامي؛ هي استيراد مكرر ومتلاحق كغيرها من المعارف والعلوم والآلات والأفكار والمعتقدات الغربية التي ملأت شتى جوانب حياتنا**؛ ومن ثم يكون الإقرار بوجود مايسمى بالحداثة العربية الإسلامية المتوازنة، ليس موجها ضد أحد، مع ضرورةالعلم **والتنويه على حقيقة أن هذه الحداثة نابعة من ثوابتنا وقيمنا الراسخة**، فهي ليست موجهة ضد الدين،وهي كذلك ليست موجهة لنسف الآداب الأخرى، والمذاهب الفكرية والأدبية المتعددة.

6. **تعددت مجالات الرؤية في شعر الحداثة، وتنوعت تنوعًا عظيمًا، فشملت الموضوعات الدينية والدنيوية، والأغراض القديمة والمستحدثة**، كل هذا كان في عمل واحد لكل منهم، وهذا جعل قصائدهم ـ **بلا أدنى مبالغة** ـ **تقارب المعلقات القديمة في شكلها ومضمونها**؛ نظرًا لطولها وطول نفس أصحابها الشعري؛ فقد انطلق شعرهم من ذلك التصور الإسلامي للكون وللحياة وللإنسان، **وكانوا في كل منها عميقي التفكير، حريصين على أن تصل رؤيتهم إلى متلقيهم**؛ ولذلك يكون من الظلم البيِّن أن تغفل بعض الكتابات النقدية جلَّ الشعراء الحداثيين المتوازنين الذين لم ينفصلوا ـ **أبدًا** ـ **عن تراثهم وموروثهم وقضايا أمتهم العربية والإسلامية**، ولم تتعد حداثتهم الشكل والبناء الشعري، **إنهم يمثلون** جزءًا من القاعدة الأدبية، ويمثلون شريحة، لا يستهان بها من شرائح الأدباء في البنية الثقافية العربية، **وعددهم على الساحة الأدبية غير قليل؛ ومن ثم يعد تعميم الأحكام عليهم ـ بالخروج عن حدود الدائرة ـ ظلمًا كبيرًا.**

7. **لم يفرق بعض النقاد المحدثين بين نوعين من الحداثة، يكثر الخلط بينهما في ثقافتنا العربية المعاصرة، وهما: حداثة الشكل، وحداثة الفكر**، فهناك الكثير من الشعراء الحداثيين من لم تتعد قصائدهم حداثة الشكل؛ **لكن مضامين تلك القصائد وأفكارها معتدلة متوازنة، تدافع عن ثوابت الدين ومبادئ العقيدة، وتعلي من شأن القيم الأخلاقية والإنسانية**، فكل ما فعله هؤلاء، يكمن في أنهم أخذوا نماذج لبعض شعراء الحداثة، فيها ـ حقا ـ مبالغة وشطط وخروج عن المألوف، **بل مجاوزة حدود دائرة الدين والعقيدة والقيم والأخلاق**، واتهموا كل شعراء الحداثة بمحاربة الدين، والعصف بالثوابت، والتصادم مع العقيدة، بصورة لا تخفى على أحد؛ **لدرجة أنهم غالوا وتشددوا؛ فاتهموهم جميعا بالكفر والزندقة والمروق**، وعلى الرغم من ذلك؛ قامت بعض الدراسات النقدية والأدبية من أولها إلى آخرها، على أساس مهاجمة الحداثة والشعراء الحداثيين جميعهم ـ **دون تفريق** ـ ودون النظر بموضوعية إلى كل ما أبدعوه.

8. **التجديد سنة من سنن الكون، وشعيرة من شعائر الدين، فشعر الحداثة يحتوي على تقنيات فنية عالية، تثري المضامين بكل أنواعها، وتعمق القيم بشتى توجهاتها**، وتضفي على المعاني عمقًا وتكثيفًا وتنوعًا؛ وهذا **يضفي على الشعر العربي جمالا في الشكل، وثراء في المضمون**، وفرصة أفضل للتعبير عن قضايا العصر ومستجداته. فقد عبر شعراء الحداثة

تعبيرًا فنيًا واعيًا، شمل كل عناصر الشعر المختلفة من تجربة وعاطفة ولغة وتصوير وموسيقى وبناء، وغيرها من عناصر التشكيل التعبيري؛ أي أنهم في تعبيرهم عن رؤيتهم ذات النزعة الإسلامية، **لم يغمطوا حق الفن.** وأجادوا في اختيار ألفاظهم بصورة جيدة، فهم المعبّرون عن رؤاهم بصدق وبشفافية **وبروعة وباقتدار وبفن منقطع النظير**.

9. **يحتاج شعر الحداثة إلى دراسات ودراسات لسبر ينابيعه الثرة بأطياف الجمال،** فشعر بعضهم ينطلق من الرؤية القومية والإسلامية، وتتشح قصائدهم برداء الإسلام، فهم الذين يلتقطون المفردة التقاط الخبير بمنجم الأدب المليء بالمتعة والمنفعة. وهناك خطة لدى الباحث سيتناول فيها جميع أنواع شعراء الحداثة، وفي بحثنا هذا تبنى الباحث مناقشة أشعار **(هؤلاء الشعراء الذين جمعوا في أشعارهم التزامًا بكل القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والأعراف السائدة، وأولئك الشعراء هم من يوجد في أشعارهم نزوع إسلامي، أو اتجاه ما نحو الدين).**

10. **هناك فريقان من النقاد: هؤلاء الذين تبنَّوا الحداثة، ودافعوا عنها، واتهموا مخالفيهم بالجمود والتخلف، وأولئك الذين اتهموا معتنقيها بالكفر والزندقة والخروج عن الدين، من أنصار الفريق الآخر المناوئين لها؛** ومن ثم كان لا بد من قول كلمة الحق، **وتحكيم العلم والموضوعية والحيادية،** عندما نناقش أي موضوع مثل هذا الموضوع الشائك الذي طالما تجنب الخوض فيه الكثير من الباحثين، **وأغفل مناقشته بعض أصحاب الفكر والرأي، مفضلين الأخذ بمبدأ السلامة،** عندما يتجنبون الخوض في أمور، استقرت في أذهان الناس بصورة معينة ولعل أهمية هذا البحث تكمن في محاولة سعي الباحث للانتصاف **لشعراء الحداثة** المتوازنين الذين لم تتعد حداثتهم حداثة الشكل، لكن حداثة الفكر والمضمون، **لاتزال متوازنة عندهم، تحكمها دائرة الدين والقيم والأخلاق؛** ومن ثم فهم يستحقون العدل والإنصاف؛ نظرا لما وقع عليهم من ظلم بيّن، ومن غلو وتطرف في تعميم الأحكام عليهم أجمعين.

حاول الباحث بقراءته ـ هذه ـ أن يستبطن كل الخفايا، وسائر القضايا التي تحملها قصائد شعراء الحداثة؛ فما كان من خطأ في هذا البحث **فمنه ومن الشيطان**، وما كان من صواب، فمن الله الكريم المنان، كما يأمل الباحث أن يكون هذا البحث لبنة في صرح الدراسات النقدية والأدبية التي تكشف الحقائق، وتؤصل عمق التفكير، **وترسخ في أذهاننا ثقافة قبول الآخر**، وإنا لموقنون أن الكمال لله وحده، وأن العمل البشري حتمًا **وصيفه العيب والنقصان؛** لذا يشكر الباحث الله ـ أولا ـ أن وفقه لإنجاز هذا العمل، ثم يشكر كل من تفضل من البشر **فأهدى إليه عيبًا، أو قوَّم له عوجًا، أو وجَّهه إلى صواب، أو أجهد ذهنه وتفكيره، وتجشَّم عناء القراءة الصحيحة** التي تحقق شعيرة التواصل والمشاركة

وأخيرا ينهي الباحث بقوله" **الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"**، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، إليه يرجع الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وآخر **دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وما توفيقنا إلا بالله** چ ی ې ې ۍ ۍ ئا ئائه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئېئې ئى ئى ئد ی ی ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [البقرة:286]

فهرست المصادر والمراجع:

1. آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس، (دراسة في المنطلقات والأصول والمفاهيم): د. بشير تاوريريت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1430ه / 2009 م.
2. أباطيل وأسمار: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية، 1972م.
3. الاتجاه الإسلامي في النقد العربي (استحسان المعاني واستقباحها): د. وليد قصاب، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الرابع والثامنون، 2014م.
4. إحكام صنعة الكلام: محمد بن عبد الغفور الكلاعي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1966 م.
5. الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د. علي علي صبح، الجزء الثاني، القاهرة، مطبعة الجريسي، 1418هـ/ 1998م.
6. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: د. أحمد هيكل، الطبعة الحادية عشرة، دار المعارف،1994م.
7. الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه): د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، بيروت، 1986م.
8. أدب الردة قصة الشعر العربي الحديث:د. جمال سلطان، مركز الدراسات الإسلامية، بريطانيا،1412هـ/ 1992م.
9. الأدب العربي الحديث، مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه ونماذج منه: د. محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، 1426ه / 2005م.
10. الأدب في موكب الحضارة الإسلامية (كتاب الشعر): د. مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1973م.
11. الإسلام والحداثة وما بعد الحداثة: د. زكي الميلاد، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد السادس، العدد الحادي والعشرون،1431ه/ 2010 م .
12. الإسلام والحداثة: د. عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، 1991م.
13. الإسلام والشعر: د. يحيى الجبوري، مكتبة النهضة، بغداد، 1964م.
14. أسلوب جديد في حرب الإسلام: جمعان عايض الزهراني، رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1991م.

15. إشكالية الإسلام والحداثة: د. عادل عبد المهدي، دار الهادي، شبكة الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1431ه/2001 م
16. إشكالية الحداثة بين التأصيل والتغريب: د. محسن سيد يونس عثمان، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد الخامس عشر، والسادس عشر، الجزء الأول، سنة 2004م.
17. أقنعة الحداثة، دراسة تحليلية في تاريخ الفن المعاصر: د. عقيل مهدي يوسف، دار دجلة، 2010م.
18. الالتزام الإسلامي في الشعر العربي: د. حسن إبراهيم فرج الشرقاوي، مطبعة الحسين الإسلامية، 1996م.
19. الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة سنة 1939ه/ 1944 مـ.
20. الانحراف العقديفي أدب الحداثة وفكرها (دراسة نقديةشرعية): د. سعيد بن ناصر الغامدي، (دار الأندلس الخضراء)، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1424 هـ/ 2003 م.
21. الانحراف الفكري (مفهومه ـ أسبابه ـ علاجه) في ضوء الكتاب والسنة: د. طه عابدين طه حمد، بحث منشور في جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، نشر بتاريخ:10/16/ 1428هـ.
22. أوهام حول الحداثة: د. وليد قصاب، مجلة العقيق، نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، السعودية، المجلد الخامس، العدد التاسع والعاشر، 1416هـ.
23. بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره: د. إحسان عباس، الطبعة الرابعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1978م.
24. برج بابل النقد والحداثة الشريدة: د. غالي شكري، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1994م.
25. البيان والتبين: الجاحظ: تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الأول، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة 1395ه/ 1975مـ
26. تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، دار اليوسف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
27. تاريخ اللغة والآداب العربية: شارل بلاير، تعريب رفيق بن وناس وجماعته، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1997م.
28. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (نقد الشعر من القرن الثاني وحتى القرن الثامن الهجري): د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، الإصدار الخامس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م.
29. التجديد في الشعر الحديث: د. يوسف عز الدين، النادي الأدبي الثقافي جدة، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1986م.
30. تحرير الإسلام ورسائل زمن التحولات: د. فهمي جدعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2014م.

31. تدافع العقول: د. زكي حسين جمعة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، كانون الثاني، 2013م.
32. التفسير العلمي للأدب، (نحو نظرية عربية جديدة): د. نبيل راغب، المركز الثقافي الجامعي، بيروت، 1986.
33. تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها: د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1414ه/ 1994م.
34. التمثيل والمحاضرة: الثعالبي، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، عيسى البابي الحلبي، القاهرة،1381ه /1961م.
35. التيار الإسلامي في شعر عبد الرحمن عشماوي: د. سهيلة زين العابدين حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1425ه/ 2004م.
36. التيار الخلقي في وظيفة الشعر عند العرب (العصر الجاهلي): د. وليد قصاب، مجلة التراث العربى، سوريا، المجلد السابع عشر، العدد السادس، 1997م.
37. الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب (صدمة الحداثة): أدونيس، الجزء الثالث، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1978م.
38. الجامع في تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري: دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ت).
39. جناية الشعر الحر: أحمد فرج عقيلان، نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى، 1403 هـ/ 1982م.
40. الحداثة بين التعمير والتدمير: د. حسن بن فهد الهويمل، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، 1413هـ.
41. الحداثة تعود: د. حلمي محمد القاعود، دار المعارج الدولية للنشر، الطبعة الأولى، 1412 هـ.
42. الحداثة في الشعر العربي المعاصر (حقيقتها وقضاياها) رؤية فكرية وفنية: د. وليد قصاب، الطبعة الأولى، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 1996م.
43. الحداثة في الشعر: شكري عياد، ندوة العدد، مجلة فصول، العدد: الأول / 1982م.
44. الحداثة في ميزان الإسلام: د. عوض القرني، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م.
45. الحداثة من منظور إيماني: د. عدنان علي رضا النحوي، الطبعة الثانية، 1409هـ/ 1989م.
46. حداثة وأصالة: د. رياض عصمت، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1434ه/ 2013م.
47. الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين وآخرون، ندوة ثقافية عقدت يوم: 13 / 1998/3م.
48. الحداثة: مالكوم براديري، وجيمس ماكفارلن، ترجمة: مؤيد حسين فوزي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد 1978م.
49. الحضارة الإسلامية: د. عطية القوصي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1985م.

50. حوار مع الشعر الحر: د. سعد دعبيس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى،1971م.
51. حول مرجعيات الاستشراق المعاصر: د. حسن الأمراني، مجلة البيان، العدد 11، السنة الحادية عشرة، ذو القعدة، 1417ه/ أبريل 1997م.
52. خطاب الحداثة في الأدب والأصول والمرجعية: د. وليد قصاب، ود. جمال شحيد، دار الفكر، دمشق، 2005 م
53. خط سير الأدب: د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة،1411 ه/1990م.
54. دراسات في الأدب الحديث: د: حسن عبد السلام ،1420هـ/ 1999م.
55. دراسات في النقد الأدبي القديم: د. السيد أحمد عمارة، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، 1428هـ/2007م.
56. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: د. محمد فتوح أحمد، دار المعارف المصرية، 1977 م.
57. رؤية إسلامية في الأدب والثقافة: د. أحمد محمود مبارك، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2000م -.
58. سوشيولوجيا الثقافة والهوية: هرلمبس وهولبورن، ترجمة: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2010م.
59. شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب: د. صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثانية، 1431 هـ.
60. الشكل في القصيدة وتحديات الشعراء الإسلاميين: د. حسن الأمراني، مجلة الأدب الإسلامي، العدد التاسع عشر، المجلد الخامس، سنة1419هـ.
61. الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث: د. محمد الكتانيى، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 1403هـ/ 1982م.
62. طرفة الأندلس، أبو جعفر بن سعيد العنسي: د. جلال صبري حجازي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد السابع عشر، الجزء الأول 1419هـ/ 1999م.
63. العرب ومسألة الاختلاف (مأزق الهوية والأصل والنسيان): د. إسماعيل مهانة، منشورات ضفاف، لبنان، الطبعة الأولى، 1435ه -2014م.
64. العصر الإسلامي: د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، الطبعة الثامنة، (د.ت).
65. العصر العباسي الأول، والعصر العباسي الثاني: د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، مصر، (د. ت).
66. العلاقة بين الدين والشعر في النقد العربي: د. محمد الواسطي، المغرب، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العدد الواحد والأربعون،1425 ه/ 2004م.
67. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: د. محمد قرقزان، دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1988م.
68. الغارة على التراث الإسلامي: د. جمال سلطان، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، 1410 ه/ 1990م.

69. غواية التراث: د. جابر عصفور، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، الطبعة الأولى، أكتوبر 2005م.
70. الفكر العربي وتحديات الحداثة: ضمد كاظم وسمي، منتديات ليل الغربة، آذار، 2009م.
71. في الأدب العربي القديم عصوره واتجاهاته وتطوره ونماذج مدروسة منه: د. محمد صالح الشنطي، المجلد الأول، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م/ 1417م.
72. في الأدب العربي القديم، (العصر الأندلسي والعباسي): د. محمد الشنطي، الطبعة الثانية،1416 هـ/ 1997م.
73. في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية: د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1399هـ / 1979م.
74. في مفهوم الحداثة: د. شلتاغ عبود، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد التاسع، العدد الثالث والثلاثون، 1423هـ /2002م.
75. قراءة التراث النقدي: د. جابر عصفور، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م.
76. القرآن ونظرية الفن: د. حسين علي محمد، دار آتون للطباعة والنشر، القاهرة، نوفمبر، 1979م.
77. القصيدة الحديثة وأعباء التجاوز: د. أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مطابع الفرزدق، الرياض الطبعة الأولى 1407 هـ/ 1987م.
78. قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية: د. عبد العزيز موافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2006م.
79. القصيدة في عصر أبي فراس الحمداني: د. عبد الله التطاوي، بحث ضمن كتاب دورة أبي فراس الحمداني، مؤسسة عبد العزيز البابطين للشعر العربي، الطبعة الأولى، 2002م.
80. قضايا في الأدب الإسلامي وقفات تصحيحية وبحوث أخرى: د. محمد بن سعد بن حسين، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع، 1494 ه.
81. الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري، تحقيق: د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، الجزء السابع، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان،1415هـ/1995م.
82. الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس المبرد، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الجزء الأول، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1999م.
83. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414 ه
84. مذاهب الأدب الغربي (رؤية إسلامية): د. عبد الباسط بدر، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، 1424هـ/ 2003م.
85. مراجيع وشم (هوامش على دفتر الشاعر الجاهلي): د. عبد الحميد الحسامي، نادي القصيم الأدبي، الطبعة الأولى، 1438ه/ 2017م.
86. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، أبريل،1998م.

87. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الجزء الثامن، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1416 هـ / 1995م.
88. مظاهر الحداثة في نقد الشعر العربي السعودي، مقاربة في رؤى ثلاثة نقاد فلسطينيين: د. حسين المناصرة، كتاب ملتقى النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، الدورة الرابعة، 1434ه/ 2013م.
89. المعارك الأدبية: د. أحمد أنور سيد أحمد الجندي، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة1983م.
90. مقالات في الأدب والنقد: د. وليد قصاب: دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، 1426هـ.
91. مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: د. عبد الباسط بدر، دار المنارة، جدة، 1405ه/1985م.
92. من سمات الشعر الإسلامي: د. محمد زغلول سلام، مجلة الأدب الإسلامي، العدد التاسع عشر، المجلد الخامس، سنة 1419 هـ.
93. من قضايا الأدب الإسلامي: د. وليد قصاب، دار الفكر، دمشق، 1429هـ / 2008م.
94. منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين: أحمد بن علي الزاملي عسيري، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431 هـ.
95. الموجز في الشعر العربي، دراسة في العصور المختلفة للشعر العربي: د. فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية الكيلاني، مراجعة وتقديم د. شوقي ضيف، منشورات مطبعة أوفيست الميناء، 1985م.
96. موقف ابن تيمية من الأشاعرة: د. عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1995م.
97. الموقف الإسلامي والخلقي للنقاد العرب من بعض شعراء السفه: د. وليد قصاب، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث والسبعون، مارس 1214م.
98. نحو أدب إسلامي معاصر: د. أسامة يوسف شهاب، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى، 1405هـ / 1985م.
99. نحو حداثة عربية إسلامية متوازنة: د. محسن سيد يونس عثمان، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد الثالث والعشرون، الجزء الثاني، سنة 2005م.
100. النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، (دراسة فنية موضوعية): د. حسن بن فهد الهويمل، الرياض، طبعة 1419هـ / 1999م.
101. نظريات النقد الحداثي في الميزان: د. محمود حسن زيني، بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين المنعقد في مكة المكرمة، في المدة من 5 – 7 شعبان 1419ه، الجزء الثاني، 1420ه - 2000 م.
102. نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية: د. عبد المنعم إسماعيل، مكتبة الفلاح،1401هـ / 1981 م.
103. النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته: د. أحمد كمال زكي: دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

104. النقد الأدبي الحديث، قضاياه ومذاهبه الفنية: د. عبير عبد الصادق، الطبعة الأولى، 1436ه / 2015 م.
105. النقد الأدبي العربي القديم (تطوره وقضاياه): د. رفعت التهامي عبد البر، دار النشر الدولي، الطبعة الأولى، 1429ه/ 2008 م.
106. النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية: د. محمد الناصر العجمي، كلية الآداب، سوسة، الطبعة الأولى، ديسمبر، 1998م.
107. النقد العربي القديم: د. مجد محمد الباكير البرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1407ه/1987م.
108. نقض أوهام المادية الجدلية لنقض أصول الشعر الحر، دراسة نقدية في العروض وأوزان الشعر الحر: د. إسماعيل جبرائيل العيسى، دار الفرقان، عمان، 1986م.
109. هذا الشعر الحديث: د. عمر فروخ، دارلبنان، بيروت، 1978م.
110. وسطية الإسلام والأمة المسلمة: د. عثمان جمعة ضميرية، مجلة البيان، عدد 167، السنة السادسة عشرة، رجب 1422ه، أكتوبر،2001 م.
111. الوسطية العربية والإسلامية في الشعر العربي المعاصر بين النظرية والتطبيق(رؤية جديدة لرصد أوجه التفاعل بين ملامح الشكل وأبعاد المضمون):د. محسن سيد يونس عثمان، مجلة كلية الآداب ـ جامعة المنوفية ـ العدد الثالث بعد المئة، أكتوبر،-2015 م.
112. وظيفة الشعر في النقد العربي القديم: د. وليد قصاب، مجلة العرب، السعودية، المجلد التاسع والثلاثون، العدد السابع والثامن، يونيو 2004م.
113. وقفات عليا للاتجاه الإسلامي في الشعر العربي: د.عبد العزيز بن محمد الفيصل، الرياض، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م

Search summary

The problematic of the circle and the departure of the poetry of modernity between rejection and acceptance (New reading in history, subject, issue, art)

The problem of research: - The lack of literature that reveals the problem of modernity in terms of rejection or acceptance in conservative societies is a characteristic of our studies of cash; as most researcher's thinkers prefer to take the principle of safety, and avoid going into topics and things, settled in the minds of people in a certain way, there is a deepening crisis over the problematic of modernity. It leads us to search at the heart of history and heritage for the so-called establishment of cultural diversity, advocacy, acceptance of the other, pluralism of understanding and other origins of Arab thought.
In spite of this, some critical and literary studies have taken place from the very beginning to the end, on the basis of attacking modernity and modernist poets all without divulging and objectively looking at everything they did. All they did was to take models of some poets of modernity, And accused all poets of modernity to fight religion, and storming constants, and clash with the doctrine, so that no one is hidden; so that they are expensive and hardened; Vthm all of them infidelity and heresy.
The importance of this research: Perhaps the importance of this research lies in the attempt of the researcher to seek redress for the poets of modernity. Some of them deserved the quiz. This is because the researcher found this exaggeration and this extremism in spreading the sentences on them all. Some modernists may apply to religion and constants. This does not prevent some of them from becoming Muslim. They have adopted and advocated Islamic issues, and some are reconciled with faith and are not in conflict with it.
It is worth mentioning that the researcher in this regard to note that the writing in this research motivated strong, and raised the idea to address them, including: It collided with the arguments of some critics

written, audio or visual that addressed the poets of modernity all with a bit of disapproval and condemnation, as if the modernists The modernity of the form, and the modernity of thought, how many modernist poets of balanced who did not exceed the poems of modern form; but the contents of their poems and ideas moderate Balanced, defends w Apt religion and entrench the principles of faith and values the moral and human values.

The methodology of research: - The researcher adopted in this research a methodology, commensurate with the nature of literary studies, and this approach is the "integrative approach", that approach that benefits from the knowledge and science surrounding us in our world, and employs it to find out the secrets of literary issues, The end to the desired results that answer all the questions asked by the researcher from the beginning on this subject, it is the preference as demonstrated by its characteristics and mechanisms; and therefore adopted by the researcher in this research.

Research purposes: -This is a consolidation of the prevailing ideas, a new attempt to discover the theory of contemporary literature; from the perspective of comprehensive integration of that period of civilization of the age of time, as well as a serious attempt to understand and describe the literary phenomena and evaluate and evaluate, on the basis that all the technical and objective dimensions combined in the folds of poetry of modernity Which contribute to the shaping of the features of this poetry, and represents the starting point for its evaluation, and put forward a new proposal, subject to objective and technical standards that voluntarily or unwillingly accept the logic and reason balanced; which requires us critics to reconsider the things that the former preconceived judgments Without total awareness Bhakaguetha.